AL-SADR

AL-MAR'AH MA'A AL-NABI

2274
·7887
·361

2274.7887.361
al-Ṣadr
al-Marʾah maʿa al-Nabī

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

2005

Princeton University Library
32101 080195017

من هدي الإسلام

-٢-

المرأة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في حياته وشريعته

بنت الهدى

مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف

al-Ṣadr, Āminah bint Ḥaydar

من هدي الإسلام

— ٢ —

al-Mar'ah ma'a al-Nabī

المرأة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في حياته وشريعته

بنت الهدى

مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف

(RECAP)

2274
.7887
.961

المقـــــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أي شيء في المرأة يحتاج الى بحث وأية قوة فيها مفتقرة الى بعث .

آن الوقت لأن نجيب على مثل هـذا السؤال ونحصل النتيجة المطلوبة شرط الجدية والموضوعية يضاف الى ذلك الصراحة التي لابد من توفرها في كل حديث نبغي منه معالجة مشـاكلنا وموضوع المرأة أهمها بالبحث . الا انه للأجابة على هذا السؤال ضروري أن نثير نقطتان أساسيتان في سبيل أن نجلي موضوع البحث اجابة ونعطى منه رأياً ونحدد لنا منه موقفاً .

أما النقطتان فهما :

أولا : ترى ما هي المسؤولية المنوط بالمرأة أمر تنفيذها والتي من أجلها خلقت المرأة أمّاً : مربية نشيء ومدرسة أجيال فصانعة مستقبل . والتي من أجلها كانت المرأة على هذا النمط من التكوين الابداعي وبهذا النسق من التركيب العاطفي والفكري .

ثانياً : اننا نلحظ الواقـع الذي نعيشه فنجده غير مرضٍ

وخصوصاً واقع المسلمين ، ان لم نقل فاسداً وفساده متمكن من جميع جهاته وأنساب الى مختلف جوانبه وللتدليل على ما نذهب، يكفي الواحد منا نظرة جدية واقعية لأي جزء من هذا المصير الذي صرنا اليه ، وليكن واقع المرأة ، باعتباره أصدق مثال وتعبير صادق لما ندعي .

كيف لا والمرأة بيننا لا نملك من وجودها سوى الاسم ، وهي قد باعت أعز بضاعة لديها ألا وهي العفة والعفة في قاموس الشرف ثمنها غالٍ .

نعم سوى الاسم فقط ليقال عنها انها تحررت وأخذت تساوي الرجل في جميع أعماله وتشغل معظم ميادينه وان كان ذلك مجرد وهم وخداع .

فان كان الامر كذلك إذاً ما هي العلل أو العلة الرئيسية التي تكمن وراء هذا الفساد والذي أقل ما يقال فيه انه ذهب ضحيته الرجل في رجولته والمرأة في أنوثتها .

أجل هما هاتان النقطتان اللتان يعطيان السؤال أصدق الاجابة .

وبناء على ما مر ومما لا شك فيه ان مهمة المرأة المرأة الأم هي التربية والتربية فقط وهو المطلوب الاول . والذي لا مجال

لنكرانه إن سبب الاسباب وعلة العلل في الفساد الكامن والماثل عند مجتمعنا هذا في جميع مرافقه هو فقدان عنصر التربية والتربية لا غير وهو المطلوب الثاني .

إذاً متى ما أردنا أن نبحث موضوع المرأة ونعالج بعث قواها جذرياً علينا أن نبدأ من هناك ، من النقطة الاساسية الجديرة بالتغيير والانطلاق ، تلك هي التربية والتربية على أساس من مبدأ شريطة أن تكون المعالجة على جميع المستويات وكافة المراحل فوراً من دون ابطاء ولا تأخير .

حتى يتسنى لنا أن نعيد للمرأة الوجود الطبيعي لها والذي وجدت وفق مقتضاه وبالتالي نعيد لها الثقة بوجودها .وحتى يمكننا بالتالي أن نضمن احياء الشخصية الاسلامية من جديد ، ونعمل على تحقيق أجوائها في القريب . هذا على أساس من اسلام دين المرأة وطريق حياتها ومبعث عزتها وكرامتها .

الناشر

نساءٌ في حياةِ النبيِّ ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

كان عصر الظلام ، وان كان لها عصر النور ، وكان عصر الجهل ، وان كانت فيه أعرف ما تكون . كان عصر الوحشية البغيضة ولكنها كانت مثالاً للانسانية الكاملة . فهي عقيلة خيرة شباب عصره عبدالله بن عبدالمطلب ، ومن الذي ينكر عبدالله أو ينكر من فضله شيئاً ، وهو حلم عذارى قريش ومرمى آمال الفتيات ، وقد تخيرها هي دون سواها لتكون له زوجاً ولنسله أماً ، فمن أجدر من آمنة بنت وهب وهي المتحدرة من أعرق الاسر ، والمتقلبة في أعز أحضان ، أن تحتل هذه المكانة الفذة .

نعم كانت صاحبتنا هذه هي آمنة بنت وهب بن عبدمناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ، وقد جلست الى ظل شجرة وارفة الظلال لتستعيد ذكرى أيام عذاب وسويعات هناء وصفاء ، وتنصت الى صدى الزمن الفائت ، وهو يتردد في أعماقها كأروع ما يكون الصدى ، وتستمد من ذكرى حبيبها الغائب رصيداً من

الشجاعة يساعدها على مُرِّ الفراق ، فأنى لها الآن بذلك الزوج البار الذي فارقته مرغمة وفارقها مرغماً أيضاً ، وما أحوجها اليه في أيامها هذه التي توشك أن تستقبل فيها قادماً جديداً ووليداً عزيزاً ... ما أحوجها الى ذلك الحبيب الغائب ليهدهدها بحنانه ويشاركها آمالها وأمانيها وينتظر معها ابنهما البكر ، فها هي تكاد تستمع الى دقات قلب جنينها الغالي وهي سعيدة لذلك لولا سحابة من ألم ظللت سعادتها لبعد الأب الحبيب ولكنها تعود لتقول عسى أن يكون اللقاء قريباً ، وهي تأمل أن يصلها خبر قدوم الغائب المنتظر في غضون هذه الايام .

فعبدالله كما لا تشك آمنة لحظة سوف لا يألو جهداً في الاسراع بالرجوع ، وسوف يبذل كل محاولة ممكنة لانجاز مهمته في أسرع وقت ، وقد خلف وراءه في مكة زوجة عروساً تحمل له في أحشائها جنيناً وتضم له في قلبها حباً وحنيناً ، ولهذا فلا تشك آمنة في رغبة زوجها بالاوبة السريعة وفي انه لن يماطل في سفره ولن يتقاعد عن اللحوق بأهله سريعاً مهما طاب له المقام في الخارج ، فهي لا تنسى ابداً ساعة إذ أقبل اليها مودعاً ، وقد اوشكت القافلة على المسير .

وهي لا تنسى أبداً أيضاً تلك الخطوط العريضة الواضحة

من الحب والعطف ، وهي مرسومة على وجهه المشرق المضيء ، ولا تنسى أبداً كيف أنه مكث معها ، وكأنه لا يريد أن ينصرف ، أو كأنه لا يتمكن من الانصراف حتى انتزعه اخوته من امامها انتزاعاً ، وهم يهونون عليه مدة البعد ، ويمزحون معه ويتضاحكون وهي لا تنسى أيضاً كيف أنه كان يتلفت نحوها ، وهو سائر الى حيث تنتظره العير .

وفي كل لفتة من لفتاته كانت تقرأ معنى من معاني الحب حين يلتهب ويشد انساناً الى انسان كان زوجها المسافر يحس بأنه مخلف وراءه شيء لم يسبق لغيره من المسافرين أن خلف مثله ...

وكان يشعر ان آمنة وهي تحمل له جنينه الغالي ، قد بدت لعينيه في تلك اللحات داخل إطار من نور مقدس ، ووسط هالة من الاشعاع السماوي ، ولكنه كان مضطراً الى السفر فسافر وهو على أمل لقاء قريب .

وهكذا تستمر آمنة بنت وهب سارحة مع أفكارها وأحلامها، وتستمر أفكارها وأحلامها معها أيضاً عنيفة بها مرة ، ورفيقة بها اخرى حتى تنتزعها من انطلاقتها الحلمية .

تلك أصوات غريبة وصلت الى سمعها من صحن الدار ، وحركة غير طبيعية أخذت تدب في أرجاء البيت فتهتز لهذه الظاهرة

الجديدة لحظة ، ويغامرها قليل من أمل وتساورها لمحة من رجاء .

ماذا لو كان الحبيب الغائب قد عاد هو ومن صحبه من الاخوان ، وماذا لو كان ما تسمع رجع صدى قدومهم على غير ميعاد .

ماذا لو كان عبدالله قد اختصر المدة ورجع الى أهله واليها ، والى جنينها الحبيب ، ثم تنهض متعجلة وهي بين اليأس والرجاء وتذهب متلهفة الخطى وقلبها يكاد يسبقها في المسير ، وتذهب لتسأل عن الخبر اليقين ، وتلقى سؤالها بصوت كأنه حشرجة روح ...

ماذا هل قدم عبدالله !؟..

فهي تشعر ان هناك واردين جدد ، وهي تحس ان الدار ليست على هدوئها الاعتيادي ، ولكنها لا ترى عبدالله وكانت تتوقع ان تبصر به قبل السؤال ، ولكنها حينما لم تر عبدالله ، وحينما وثقت من قدوم المسافرين الذين صحبوا زوجها في السفر انبعثت آهاتها كلمات سألت فيها عن عبدالله وتسمع الجواب وهي لا تكاد تفهم منه إلا القليل فقد اذهلتها الصدمة ، وشلت حواسها المحنة التي شعرت بها قبل أن تسمعها وعرفتها بدون أن تخبر بواقعها وكان الجواب .. لا لم يجيء عبدالله ولكنهم

الآخرون ، فتعود تسأل وهي لا تعلم انها تسأل وتستفهم وهي في غنىً عن الاستفهام . اذن فأين عبدالله وما الذي قعد به عن متابعتهم في السير ... فيقال لها : انه مريض وقد أفاء الى قوم في منتصف الطريق يستضيفونه حتى يقوى على السفر وهي تسمع الجواب وتفهم منه غير الذي قيل فتنطلق روحها من فمها الى كلمات مرة وتقول : .

آه من لي بعبدالله ومن لوليدي بأبيه وهكذا تتلاشى أحلام آمنة وينهار صرح أمانيها فنراها وقد تسربلت بأبراد العزاء بعد اذ انطفأت شعلة السعادة المتوهجة في صباها الريان فهي رابضة بعيداً عن اللدات والرفيقات منصرفة عن الدنيا وما فيها من مباهج عاكفة على آلامها الممضة منطوية تحت سماء الحزن القاتم وفي اطار من الألم المرير فهي لا تحيى إلا للذكرى ولا تعيش إلا على حطام السعادة المفقودة بعد ان افترقت عن رفيق دربها السعيد وأصبحت وهي الزهرة الناظرة رهينة الثكل الممض والحزن القاتل فآمنة كادت بعد فجيعتها بعبدالله أن تزهد في الحياة فما عادت تشعر للحياة معنى وهي خلو من عبدالله وعبدالله كان لها الحياة الروحية بكل معاني الحياة ، ولكن بارقة من أمل وشعور لا إرادي أخذ يشدها للحياة التي أنكرتها ، وأخذ يشعرها بوجودها حية

مع الاحياء ، ويذكرها أنها لم تمت يوم مات عبدالله ، فقد أخذت تشعر أن عليها تجاه عبدالله واجباً يجب عليها أن تؤديه ، وان في أحشائها وديعة لفقيدها الغالي ، لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تنساها ، أو تتناساها . وأحست أن رسالتها بالنسبة لعبدالله لم تنته بعد ، فما دام طفله معها فهي مسؤولة على أن تعيش ، ولهذا فقد أقامت على لوعة مريعة وألم ليس فوقه ألم ، وما أكثر ما كانت تسترجع ذكرى أيامها مع الزوج الغالي وأيامها قبل أن يدخل حياتها وتدخل حياته ، وكيف أنه اختارها هي دون سواها مع كثرة الاغراء الذي احيط به من فتيات قريش ، ولهذا فما أكثر ما حسدت عليه وما أكثر ما اعتزت به وفرحت فلم يكن عبدالله بن ابي طالب بالعريس الهين ، فهو غصن بني هاشم ، ومنار فتيان قريش فماذا لو لم يفرق الموت بينهما ، وماذا لو تركهما يتذوقان الهناء ، ولو الى مدة قصيرة ، وماذا لو أمهله الموت حتى يرى وليده العزيز ، وماذا لو رحم الموت هذا الجنين الذي سوف يستقبل الدنيا أو تستقبله الدنيا ، وهو يتيم وحيد وهي لا تزال تذكر ساعة الوداع ولا تنسى وصايا عبدالله لها ان تحافظ على جنينها ما وسعها الحفاظ ، ولكن أين هو الآن وقد آن للعزيز المنتظر أن تبصر عينه نور الحياة ، وفعلا فقد استقبلت

الدنيا محمد بن عبدالله وهو يتيم يكفله جده وتحضنه امه الثاكلة آمنة بنت وهب ، وهي المرأة الاولى في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم تمضي الأيام تتبعها الأسابيع والشهور وآمنة عاكفة على وليدها الغالي تفديه بالنفس والنفيس حتى بلغ السن الذي يتحتم به عليها أن تدفع به الى المراضع ، فقد كان المفهوم السائد في ذلك العصر أن الطفل الذي ينمو في البادية ويترعرع في جوها الطلق يكون أشد عوداً ، وأقوى عزيمة من الطفل الحضرى ، وعلى هذه القاعدة المتبعة دفعت به امه الى حليمة السعدية ، وهكذا اصبحت حليمة المرأة الثانية في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رجعت حليمة وزوجها الى احياء بني سعد ، وهي تحمل معها طفلاً يتيماً لم تتمكن أن تحصل على غيره في الوقت الذي حصلت فيه باقي المرضعات على أطفال اغنياء استلمتهم من أيدي أبويهم محملين بالزاد والمال الوفير ...

ومنذ ان ضمت ساعداها هذا اليتيم أحست انه أصبح لها كل شيء وأحست انها تود جادةً أن تصبح له كل شيء أيضاً ، وما أن سافرت به حتى بدأت تتعشقه وتفنى فيه ولم يستقر بها المقام إلا وهي تشعر بأنها تحمل معها كنزاً ثميناً دونه الكنوز ،

وعرفت بدافع من أعماقها بأنها هي الرابحة الحقيقية دون سواها من المرضعات ، وقد بدأت تلوح لها بوادر تؤيد عندها هـذا الشعور فقد عمت البركة جميع الحي وتزايد الخير بالزاد والمال ، وقد افضت بما تراه لزوجها ونبهته الى بوادر الخير التي أخذت تلوح لهم .

فقال لها : عسى أن يكون لهذا الغلام شأن وأوصاها بالعناية به والحرص عليه ، ولكن حليمة لم تكن تحتاج الى أي توصية فقد ازدحمت في قلبها جميع عواطف الامومة اتجاه هذا الطفل الصغير ، وتفجر في فؤادها ينبوع من الحنان لا يمكن له أن ينفد أبداً ، وقد كانت تقدمه على أولادها ، وتحله في أعلى منزلة من قلبها ورعايتها وبرها وكرمها ، وقد اختلفت كثيراً من المعاذير والحجج لتتمكن من استبقائه عندها أكبر مدة ممكنة فما كانت تتمكن أن تنفصل عنه أو ان يفارق أحضانها ويبعد عن ساعديها ، فقد كان بالنسبة لها ينبوعاً للخير والبركة والسعادة والهناء .

وكذلك كان محمد بن عبدالله أيضاً فهو يحبها ويركن اليها ويحترمها صغيراً وكبيراً ، ويحفظ لها جميلها بكل احترام ، وقد عاشرها سعيداً وفارقها غير قالٍ ، ولا عاتب ، وقد بقي يذكرها بالخير والاعزاز حتى بعد النبوة فقد كان صلوات الله عليه يناديها

بيا أمي ، واذا أقبلت اليه أفسح لها مجلساً الى جواره ، وقد يتفق أن يهوى على صدرها فيقبله وهو أكثر ما يكون براً بهـا وحدباً عليها ..

ثم يرجع محمد بن عبدالله الى كنف امه وجده لكي يحض برعاية الام في أوائل صباه ولكي ينشأ في ظل جده وتوجيهاته ، ولكن القدر سرعان ما يقف معه مرة اخرى لينتزع منه امه ، وهو لا يزال طفلاً طري العود يصحبها في سفرةٍ تقصد بها أخواله ومعهم وصيفتها الامينة ام أيمن وفي وسط الطريق ، وبين أميال مترامية وصحراء لا متناهية يمد القدر يده لينتزع منه آخر ركيزة له في الحياة فتلحق العلة امه وينتزعها الموت من بين يديه .

ويعود محمد الصغير يتيماً مرة اخرى أو بعبارة اخرى يتيماً مرتين ولا تمهله يد الزمن حتى تفقده جده البار الذي كان يعوضه بحنانه عن حنان الابوة وبعطفه عن عطف الامومة وعند هذا يكفله عمه أبو طالب ويفتح له بيته وقلبه ويفسح له في مكانه وحنانه .

وتكفله فاطمة بنت أسد زوجة عمه الكريمة كأحسن ما تكون الكفالة تحله في المحل الرفيع من قلبها ورعايتها وتمد له يد العون والحدب بكل ما تستطيع .

وفاطمة هي المرأة الثالثة في حياة الرسول العظيم فلم تكن

تحس ان محمداً ليختلف بقليل أو كثير عن أولادها الباقين ، بل انها كانت تحس بأن لمحمد شأناً يخوله أن يحتل الصدارة في قلبها ، وعواطفها ، وكانت تتابعه بعينها وهو ينمو الى الشباب الزاهر ، ثم يكتمل شبابه ويغدو رجلاً ملىء السمع والبصر .

كانت ترى فيه حصناً ورصيداً روحياً لها في مستقبل أيامها وكانت تستمد من وجوده العزيمة والمضاء ولشد ما كانت تعتز بأن تراه وهو يحتضن وليدها الغالي علي فهي فخورة بهـذا الاحتضان الروحي ومتفائلة به خيراً .

فمحمد هو أول شخص ابتسم له ابنها علي بعد اذ خرجت به من الكعبة ، وهي تحمله بين ساعديها الحنونين ، فهي لا تنسى أبداً ان علياً ولد في الكعبة وفي أشرف بقعة فيها وها هو عليها العزيز ، وقد أخذ ينمو ويترعرع تحت رعاية وتوجيهات ابن عمه الصادق الامين محمد بن عبدالله ومحمد بن عبدالله أيضاً وحتى بعد اذ غدا شاباً .

وفي أوج شبابه لم يكن لينسى لفاطمة بنت أسد حبها ولم يكن ليتنكر لحنانها مطلقاً ، فهو لها كولدها في كل ادوار حياته وفي كل أحواله ، وقد استخلص لنفسه ولدها علي بعـد اذ عمت المجاعة في مكة .

وكان عمه أبو طالب كثير العيال مرهق بتكاليف العيش ، وكان رسول الله قد استقل في ذلك الحين ببيته ومع زوجه خديجه ومنذ أن فتح لابن عمه بيته وقلبه لم يفترق عنه يوماً واحدا في كل الظروف والملابسات .

وكانت فاطمة بنت أسد ترى هذا الامتزاج العاطفي بين ابنها وابن عمه فتسر له ، وتفرح فيه فهي تكبر محمد وتعجب فيه وتعتمد عليه ، وتركن اليه ، وكان الاثنان يحلانها محل الام لا فرق بين ابنها وابن عمه .

فقد جاء في الروايات ان الامام علي بن ابي طالب لما أخبر رسول الله بوفاة امه قال إن امي قد توفيت يا رسول الله فيرد عليه رسول الله بل امي أيضاً يا علي وناهيك عما تحمل هذه الكلمة من تسلية للابن الفاقد امه ، وما تعطى للامة من دروسٍ في الوفاء والاخلاص ، وحفض الجميل ، وقد أعطاها ثوبه المبارك لتلف به مع كفنها كي يكون لها ستراً ومعاذاً ، وجلس على قبرها بعد ان أنفض الجمع ، وأخذ يدعو لها ويسأل الله أن يجزيها عنه خيراً ويستعيد في فكره ايامها معه ، اذ هو طفل صغير وحنانها عليه حينما كان يتيماً وحيداً ورعايتها له وهو شاب فتي وأخيراً قام عن قبرها وهو حزين كئيب .

فقد كانت هي المرأة الثالثة التي دخلت في حياته صلوات الله عليه والتي نشأ في ظلال عواطفها الى حين استقر به المطاف عند قرينته خديجة بنت خويلد .

خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب وقد كانت سيدة نساء عصرها كمالاً وجمالاً ومكانة ، وكرامة ، فهي سليلة دوحة ثابتة الفروع ، وفرع شجرة عميقة الجذور ، وقد عرفت بين قومها بسمو الروح وعلو الهمة وقوة الشخصية ، وثبات الفكرة وصواب الرأي ، وقد كانت مع كل هذه الثروات المعنوية والأدبية ثرية في مالها أيضاً وقد كانت تفتش عمن تستودعه المال ليتاجر لها به على أن يكون أميناً صادقاً مخلصاً فهي جادة في طلب ضالتها من بين شباب قريش وشيوخها ، وبما انها امرأة لاتتاح لها المراقبة الدقيقة كانت تحتاج الى صاحب ثقة تتمكن أن تودعه مطمئنة مرتاحة .

ومحمد بن عبدالله كان يفتش بدوره أيضاً عمن يدفع له مالاً يتاجر له به فهو وان كان فتى قريش الأول ومحط أنظارهم جميعاً ، ولكنه لم يكن ليستغنى عما يحتاج اليه غيره من رجال قريش ويسمع كما يسمع غيره ان خديجة بنت خويلد تفتش عمن

يتاجر لها بمالها فيتقدم اليها عارضاً عليها استعداده للقيام بهذه المهمة .

وخديجة بنت خويلد تلاقي عرضه بالقبول بل بالرضاء ، والاطمئنان فهي تعرف محمد بن عبدالله وتعرف عنه الكثير أيضاً ، ولم يكن في مكة من لا يعرف محمد الصادق الأمين .

فخديجة راضية لهذه الشركة ومتفائلة بها خيراً وتدفع له أموالها ، وهي واثقة من أنها قد سلمتها ليد أمينة حريصة على أداء الامانة ، ولذلك فقد أخلدت الى راحة نفسية عميقة وظلت تنتظر رجوع محمد بن عبدالله وغلامها ميسره الذي ارسلته مع محمد ، ورجع محمد ورجع معه ميسرة .

وكان صلوات الله عليه يحمل لها معه الربح الزاكي الوفير وتخلد خديجة بنت خويلد الى غلامها ميسرة تسأله عمن رافق في السفر وتلحف عليه أن يشرح لها كل ما وجده منه وما رآه عليه ، وهي على شبه يقين من أن غلامها سيقص عليها من أمر رفيقه عجباً وغلامها مندفع يعدد لها مناقب محمد ، ويصف لها حركاته وسكناته والاعجاز في سلوكه ، واسلوبه وكل شيء فيه ، وهي منصتة له بقلبها وفكرها وبكل جارحة فيها تستزيده ولا تنكر من حديثه شيئاً ولا تستغرب منه خبراً ، فهي قد عرفت ان محمد

ابن عبدالله رجل لا كالرجال وقد سمعت عنه ما جعلها على يقين من ان له في مستقبله شأناً سماوياً .

وخديجة في ذلك الحين امرأة في نهاية العقد الرابع من عمرها ، وكانت قد تزوجت ومات عنها زوجها ، وهي في ريعان الشباب ٦.

خديجة بنت خويلد وقد اثرت عليها شخصية محمد بن عبدالله واستولت على أفكارها وأمانيها روحه السامية بكل ما فيها من معاني الكمال تود من صميم قلبها أن تقرن به حياتها الثمينة ، وان تكون له كأروع ما تكون الزوجة الوفية المخلصة .

نعم خديجة بنت خويلد الغنية بمالها وجمالها وعزها ، ومجدها تبعث الى محمد بن عبدالله الصادق الأمين وتطلب اليه الزواج حباً في شخصه ، وتفانياً في روحه ونفسه .

وقد كان صلوات الله عليه في ذلك الحين شاباً في أواسط العقد الثالث من عمره المبارك وهو يتمتع بكل معاني الكمال من الجمال والعزة والكرامة وسمو المكانة وعلو الرتبة وقوة الشخصية وقد كان يتمكن بسهولة أن يخطب له أي فتاة من فتيات قريش مهما علت بشأنها وجمالها .

فهو منار شباب قريش والمقدم عليهم في كل مضمار ، ولكنه

بدافع خفي وجد نفسه يندفع الى خديجة بنت خويلد السيدة التي تكبره بخمسة عشر سنة متجرداً عن العواطف الشهوانية ،والاهواء المادية مترفعاً عن كل ما يصبو اليـه غيره من متعة جسدية ، وغايات رخيصة .

فهو كان يرى في الزواج شركة روحية مقدسة لا تطغو عليها المادة ولا تتحكم فيها النزعات الحيوانية .

فالزواج في نظر الرسول الأعظم امتزاج روحين ، ووحدة هدف ، وغاية وتعانق قلبين طاهرين قبل أن يكون صلة جسدية ..

ومن أجدر من خديجة بنت خويلد بأن تحتل في قلب محمد وفي حياته مكان الصدارة ، وفعلاً فقد دخلت خديجة في حياة رجلها الخالد كامرأة رابعة ، ولكنها لم تدخل في حياته وهو محمد بن عبدالله فحسب ، بل هو رسول الله وخاتم أنبيائه أيضاً .

وهكذا كانا مفترقين ثم جمعهما القدر السماوي دون أن يشعران ليضم ثروة خديجة الى دعوة محمد وما أحوج الدعوة الى رصيد تسلك به الطريق ، وقد وجد كل منهما ضالته المنشودة في قرينه وصفيه ، فخديجة بنت خويلد ربيبة الترف والدلال والمتقلبة في أحضان النعمة والثراء ، تفنى في رجلها الحبيب الفقير وتتعرف في كل لحظة على معنى من معانيه ، تزيدها فناءً فيه

وتحبب اليها ذلك الفناء .

ومحمد بن عبدالله أحسن قريش شكلاً وأعرقهم أصلاً وأصدقهم لساناً وأقواهم جناناً وأذيعهم صيتاً وأعلاهم درجةً وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشريف يخلص لزوجته الوفية خديجة وهي في الأربعين من عمرها المبارك يخلص لها خلوص الزوج الواثق ويركن الى حنانها وعطفها ركون الابن الى امه .

وخديجة هي رابعة امرأة دخلت في حياته صلى الله عليه وآله وسلم ولكن أتراه كان نسى النساء الثلاث اللاتي تقدمنها ..

أتراه قد أهمل ذكرهن أو تجاهل وجودهن في حياته الماضية .

كلا فان محمد بن عبدالله لم يكن من النمط الذي ينسى من أحبوه ، أو يتجاهل ذكر من لم يتجاهلوه .

وما أكثر ما كان يسرح مع أفكاره في ساعات عزلته ، ويرجع بها الى الوراء الى أيام حداثته ، وصباه الاول ، من عهد امه آمنة الى مرضعته حليمة ، الى زوجة عمه الكريمة فاطمة بنت أسد ويقف معهن عند كل لمحة حب ، أو لفتة عطف ، ويدعو لهن بالرحمة والغفران ، وكان يرى حياته الماضية ، وكأنها شريط يتتابع ويتلاحق أمام عينيه بكل ما يحمل هذا الشريط من إكرام وآمال ومحن ، ومصاعب .

ثم يعود ليستقر بأفكاره عند واقعه الحالي ، ويُركّز على خديجة هذه السيدة الطاهرة التي يحس بها كقوة خفية تشد ظهره ، وتسند كيانه ، وكأنه كان يعلم أنها سوف تقف معه ، إذ لا واقف غيرها ، وتصدقه حين لا مصدق سواها وتمضي السنون تتلاحق ، والأحداث تتتابع ومحمد بن عبدالله هو وخديجة بنت خويلد يشقان طريقهما معاً في الحياة وقد ظللتهما سماء الحب وأحاطتهما يد الاخلاص والوفاء .

وكان صلوات الله عليه كثيراً ما يعتكف الساعات الطوال في غار حراء ، يعتزل بها الدنيا بروحه وفكره ، وجسده ، ويروح يسبح في ملكوت السماوات .

وما أكثر ما كانت تستبطئه خديجة وتفتقد قدومه في وقته المعين فتذهب بنفسها غير واثقة من أن تنيب عنها خادمه أو ترسل دونها رسولاً . تذهب لتفتش عنه في الأماكن التي تعلم أنه يزورها دائماً ، وخصوصاً غار حراء .. فقد كان هو الخلوة المفضلة لدى رسول الله (ص) .

وقد كانت خديجة تحمل له بيدها الطعام والماء ولا تذهب إلا للاطمئنان على سلامته ؛ فقد كانت تشجعه على هذا الاعتكاف لثقتها من ان وراء هذه الخلوات رسالة مقدسة سوف يحملها

بعلها الغالي .

ولذلك فلم تكن تتبرم لغيابه أو تعتب عليه وكانت تشعر بروحها وهي تذهب معه أينما ذهب ، فهي معتكفة معه في الغار ، وهي سارحة واياه في البراري والقفار ، فأن فاتها أن تسايره جسمياً فأنها لم تكن لتفارقه روحياً ، وفكرياً .

وكانت تتابع حركاته وسكناته بعينها الساهرة الحنون وهي رفيقة به عطوفة عليه ..

وفي أحد الأيام يدخل على خديجة زوجها المصطفى بعد أن كان قد أمضى في غار حراء الساعات الطوال ، فتنشط لاستقباله هاشة باشة ولكنها تنكر منه حاله ولونه وتنكر منه ما يبدو عليه من ضعف واعياء فهو شاحب اللون مجلل بالعرق ويطلب اليها أن تدثره وهو يرتعد فتدثره خديجة وهي ملحاحة في التعرف الى ما يخامره ، فلم تعهد بمحمد ضعفاً ، ولم يصدف لها أن رأت الاضطراب بادياً عليه كما تراه الآن وهي تعلم ان زوجها الحبيب لا يضعف ، ولا يتخاذل لأي سبب مهما كان مؤثراً ومهما كان صعباً ولذلك فهي تسأله في إصرار والحاح وهو يتهرب من الجواب ويماطل في الرد ، ولكن خديجة الزوجة وخديجة الرفيقة والصديقة تأبى إلا أن تتعرف الى حاله ، وتفهم السبب كيما

لا تتأخر عن موقفها الطبيعي في السير معه في كل مضمار ، والى كل غاية .

وأخيراً يخبرها الرسول بما سمع ويشرح لها ما أحس ويقص عليها خبر الروح الذي فاجأه في غار حراء وقال له : إقرأ فيجيبه ما أنا بقارىء فيكررها عليه ثلاثاً ، ويرد الجواب نفسه ثلاثاً أيضاً فيقول ، الروح :

« إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » صدق الله العظيم .

وهنا تسأله خديجة وهي في نشوة روحية نشطة ألم تسأله من أنت ألم تسأله عن اسمه فيجيبها صلوات الله عليه قائلاً سمعته يقول : أنا جبرئيل جئت ابلغك رسالة ربك ثم يردف ، وكأنه يريد أن يبث خديجة ما يحس وان يشاركها بأفكارها .

قال : لقد خشيت على نفسي .

فتجيبه رضوان الله عليها باندفاع وحماس .

كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ..

بهذه الكلمات البليغة الحكيمة ردت خديجة على زوجها مشجعة مصدقة ، وكلها اطمئنان الى صدق محمد بن عبدالله ، ثم ينزل عليه الوحي ليأمره بأن ينذر وان يبلغ ويدعو الى رسالة السماء ، وينهض رسول الله لكي ينذر وتنهض معه خديجة أيضاً تهب معه بكل طاقاتها وامكانياتها المعنوية ، والعاطفية ، والمادية .

ومضت تواكب سيره المبارك في كل مضمار وعندما خرج ليصلي في المسجد لأول مرة ، وخرج معه ابن عمه علي ابن ابي طالب (ع) .

كانت خديجة ثالثتهما في الصلاة لم تقعد بها خيفة ولم يثنها عن اندفاعها الاسلامي تردد أو شك فهي تعرف محمد كما لا يعرفه غيرها من الناس ، وتثق فيه ثقة مطلقة .

وهذه احدى نواحي الاعجاز في النبي فان أكثر عباقرة التاريخ كانوا يعانون الأمرين من تصرفات زوجاتهم ، وعدم تصديقهن بعبقريتهم ، فأن الانسان الاعتيادي مهما كان عبقرياً فذاً لا يمكن له أن يخلو من نقص ، ونقاط ضعف اذا فرض فامكن له أن يخفيها عن كل أحد لا يمكن له أن يخفيها عن زوجته التي هي أقرب الناس اليه ، ولكن بالنسبة الى رسول الله وزوجته خديجة انقلبت هذه القاعدة فأصبحت الزوجة أول مصدقة ومؤيدة

لأنه صلوات الله عليه كان فوق مستوى غيره من الرجال مهما كانوا عباقرة وأفذاذاً ، فكل ما كان الشخص قريباً منه كان أكثر حباً له ، وأكثر عقيدة ، وأرسخ ايماناً برسالته ، ودعوته .

فقد كانت عواطفه الانسانية عامة شاملة لكل نواحي الحياة سيان في علاقاته الداخلية ، أو الخارجية حتى انه كان اذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه .

واذا لقيه أحد فتناول يده ناوله اياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده .

وكان أشد حياء من العذراء في خدرها .

وكان أصبر الناس على أقذار الناس .

كان عطوفاً على كل ضعيف بارأ بكل مسكين ما ضرب أحداً وما نهر خادماً قط .

وقد روي عن أنس انه قال خدمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ، ولا قال لي لشيء صنعته لم صنعته ، ولا لشيء تركته لم تركته .

وحتى زيد بن حارثة الذي خطف من أهله وهو صغير ثم اهتدي اليه أبوه واهتدي هو الى أبيه على لهفة الشوق بعد اليأس

من اللقاء ، فلما خير بين الرجعة الى أبيه وبين البقاء مع الرسول اختار البقاء مع السيد عن الرجعة الى الوالد .

وشق عليه ان يفارق ذلك الرصيد العامر بالعطف والحنان .

والذي غمره بحبه ومواساته ، اذ هو ضعيف شريد لا يرى ذويه ، ولا يدري من هم ذووه .

وحتى مولاه ثوبان والمولى في أغلب الأحوال يكون كارهاً لمولاه حاقداً عليه قالياً له نظراً لما يحسه من تقدم سيده عليه ومالكيته له .

ولكن ثوبان نحل وظهر عليه الحزن في ليله ونهاره فلما سأله صلوات الله عليه عن سبب ذلك قال : قرب منيتي وخوفي من فراقك لأنك في الجنة سوف تكون في درجات الأنبياء فلا استطيع أن أراك .

ولهذا نزلت الآية الكريمة التي تبشر المؤمنين المخلصين بصحبة الأنبياء الصالحين ، هذه نواحي تكشف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما هو انسان كامل حتى في نظر زوجته ومولاه ومرافقه هؤلاء الذين تنكشف لهم على الخصوص أخفى نواحي النقص ، وأدق نقاط الضعف .

هكذا كان صلوات الله عليه في نبوته وقبلها .

هكذا كان في محيطه الضيق ، وفي محيطه الواسع .

ولهذا ولكونه الرجل الكامل والانسان الكامل ، بعثه الله بالنبوة ، وحمله ثقل أقدس رسالة بعثت للناس .

وهكذا بعث محمد الرجل الأول والانسان الاول ليكون النبي الاول وكانت خديجة من ورائه تساند وتعاضد فما أكثر ما امتحنت وإياه ، وما أكثر ما شدد عليهما الكفار وتهددت حياتهما بالخطر ، وما أكثر ما رجع اليها الرسول وهو مصاب بجروح ورضوض من قبل الأعداء ولم تكن لتزيدها هذه الأحوال إلا صموداً ولم تكن لتهبها إلا قوةً وعزيمةً وثباتِ اراده .

فقد نفذ نور الاسلام الى الاعماق من روحها وفكرهـا فاستنارت بنوره واهتدت بهداه ومن خصائص الاسلام ومميزاته بوصفه عقيدة ثورية تتسق مع الفطرة والعقل وتغمر الوجود الانساني كله أنه اذا استقر في قلبٍ وأي قلب كان فتح امامه أبوباً للتضحية والفداء . فما أكثر النساء المسلمات اللاتي قدمن الضحايا من الآباء والأبناء وهن أكثر ما يكن ثباتاً وقوة . بل وكن يستهن بالموت من أجل القضية الاسلامية امثال أم عمار بن ياسر التي صمدت على كلمة الاسلام امام كل الوسائل الوحشية التي اتخذت لتعذيبها والتنكيل بابنها وزوجها وكان رسول الله يمر عليهم وهم

يعذبون فتطفر الدموع من عينيه ويبشرهم بالجنة نزلا وكثير غيرها من النساء المسلمات اللاتي اعتنقن الاسلام في احرج أدواره وأشدها ولكن المجال لا يتسع لنا على المرور عليهن جميعاً ولعلنا سوف نمر على هذه الناحية من حياة المرأة المسلمة في رسالة خاصة تبين مواكبة المرأة للاسلام وأثرها في الدعوة الاسلامية .

فقد كانت المرأة المسلمة تذهب الى سوح الجهاد لتشجع اخوتها وأولادها على خوض غمار الحرب وهي معهم تطبب وتداوي وتسقي العطشى وتعين المصاب ولا يزيدها فقد الاولاد والاخوة والأعمام إلا حرصاً على الاسلام وتفانياً فيه .

وقد كانت المرأة المسلمة قد تسمع بأذنيها نعي أعزائها وأحبائها وهي لهفانة في الوقت نفسه للاطمئنان على سلامة رسول الله وعلى هذا فلا عجب إذاً اذا كانت خديجة زوجة الرسول أول مصدقة به وأقوى ساعد لديه والواقع انني حينما اراجع سير النساء المسلمات في صدر الاسلام واقرأ تضحياتهن ومواقفهن أكاد أسأل جادةً هل نحن مسلمات حقاً .

هذا الاسلام هو الذي نوّر قلب خديجة بعد إذ انبثقت أنواره من غار حراء ومن بيتها هي بالذات ولهذا فقد كانت خديجة (ع) جديرة بهذا الاندفاع الإسلامي وهي التي اصطفت

محمداً لنفسها منذ زمن بعيد وبعد إذ عرفت انه صاحب رسالة مقدسة ولذلك فهي لم تفاجأ ولم تستغرب عند سماعها بخبر الوحي الذي نزل على زوجها في غار حراء وقد قنعت من زوجها بكلمات قلائل سرعان ما صدقته بعدها وآزرته وهي أقوى ما تكون فكرة راسخة مركّزة وإحساس فياض صادق .

واستمرت خديجة ام المؤمنين تحيا بحياة الرسالة المحمدية وتستهين في سبيلها بكل المصاعب والمحن وقد بذلت في هذا الطريق كل ما تملك من مال حتى أصبحت وهي الغنية الواسعة الثراء فقيرة لا تملك شيئاً وقد استنفذت بدعوتها رصيدها الضخم من المال ولم يبق منه حتى النزر القليل . فهي تطوى جوعاً اذا طوى النبي وتشبع اذ يشبع بالذي يشبع فيه وهذا يبين مدى التفاوت بينها وبين باقي امهات المؤمنين . الفارق الذي جعل رسول الله يحن اليها الى آخر يوم من حياته الشريفة .

فهي قد بذلت للاسلام كل ما تملك يوم اذ كان الاسلام وحيداً . وصلّت مع رسول الله يوم إذ لا مصلّية غيرها بينما احتجت امهات المؤمنين الاخريات على النبي وبعد اذ عمت كلمة الاسلام جميع البقاع وطالبن بزيادة النفقة وتوسيع المعيشة عليهن ولم تثنهن نصائح النبي عن ذلك حتى انه جاء في الروايات ان

أبا بكر دخل على النبي (ص) ومعه نساؤه فوجده حزيناً وعرف السبب في ذلك فقام على ابنته يريد أن يجأ عنقها لأنها آلمت الرسول واعترضت طريق دعوته بمطاليبها المادية حتى نزلت الآية الكريمة التي خيرت نساء النبي بين متاع الحياة الدنيا وبين رسول الله (ص) فاخترن صحبة الرسول الأعظم بعد اذ قطعت امامهن السبل . وقد كانت خديجة صلوات الله عليها لا تألو جهداً في بذل يد العون للدعوة الاسلامية بكل ما يسعها ذلك وقد حدث مثلاً ان فرضت قريش على بني هاشم حصاراً في منطقة تسمى بمنطقة الشعب أو شعب أبو طالب وقد منعوا عنهم في هذا الحصار الماء والزاد وكان الموت جوعاً يهدد جميع بني هاشم لولا اموال خديجة فانها كانت تبعث من يشتري لهم الطعام سراً وفي أغلى ثمن متصور وتستعين بأولاد اخوتها وأخواتها على ذلك وبذلك امّنت الغذاء لبني هاشم المحاصرين في الشعب .

فلهذا ولغيره من المواقف الفذة في تاريخ الاسلام احتلت رضوان الله عليها الصدارة في قلب النبي وفي حياته الشريفة .

وقد توفيت رضوان الله عليها في السنة الثالثة عشر للبعثة وقد حزن عليها رسول الله (ص) حزناً عظيماً وكانت وفاتها في عام وفاة عمه أبو طالب ولذلك فقد سمّي ذلك العام بعام الحزن

لحزنه على فقدها وفقد عمه أبو طالب . نعم توفيت خديجة المرأة الرابعة التي دخلت حياة النبي في أحرج أدوارها والتي لم تخرج من حياته أبداً فقد خلّفت له أغلى وأثمن ذكرى مقدسة ، وهي الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وقد جاء في بعض الروايات انها خلفت للنبي اربع بنات هن زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة (وسوف نناقش هذا الموضوع في محله انشاء الله). وقد أصبحت الزهراء قطب الرحى في حياة أبيها العظيم حتى انه كان يسميها بأم أبيها وقد قامت منه مقام البنت والأم فهي تجهد أن تعوضه بحنانها عما افتقده بافتقاد امها خديجة وهي تسعى أن تكون لرسالته كما كانت امها من قبل لم تمنعها حداثة السن عن التعرف الى جميع مشاكل أبيها وآلامه مهما كانت المشاكل مهمة ومهما كانت الآلام هائلة لم تضعف ولم تهن ولم تتردد أو تتراجع وقد جاء في رواية عن ابن مسعود قال بينما رسول الله يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم الى سلا جزور بني فلان فيضعه بين كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر ، لو كانت لي منعه

لطرحته عن ظهره والنبي ساجد لا يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت وطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تؤنبهم على ذلك .

هذه احدى الروايات التي تدل على منزلة الصديقة في قلب أبيها ومحلها من دعوته ورسالته وكأنها قد شعرت مع حداثة سنها بأنها مسؤولة عن أن تكون المرأة الخامسة في حياة رسول الله (ص) فقد واكبت سيره بكل شجاعة وإقدام .

ونحن الآن لا نكاد نتصور مدى ما كانت تتطلبه من شجاعة ، هي وجميع المسلمات في ذلك العصر .

فنحن الآن وبعد اذ عمت كلمة الاسلام جميع الأقطار الاسلامية والحمد لله ، لا تكاد تجرأ إحدانا أن تجهر بالكلمة الاسلامية صريحة واضحة وكانت الزهراء صلوات الله عليها قد انصهرت بأفكار الاسلام روحياً وفكرياً فقد كانت وهي بنت أعظم رجل عرفه التاريخ وريحانته الغالية والتي كان النبي يدعوها بأم أبيها ويقول فاطمة بضعة مني من أرضاها فقد أرضاني ومن أغضبها فقد أغضبني وكان يقول حينما يقبلها إني اشم منها رائحة الجنة وهي الحوراء الانسية وكانت عنده بمنزلةٍ ما فوقها منزلة فكان آخر من يراها عند سفره وأول من يلقاه عند رجوعه من السفر وكانت هي من انحصر فيها نسله صلوات الله عليه ولم يكن

رسول الله (ص) يجهل ذلك .

نعم كانت هي هكذا وكانت أكثر من هذا ولكنها ومع كل هذه المميزات الروحية والمعنوية كانت بسيطة في اسلوب حياتها لا تكاد تختلف عن أي امرأة فقيرة فبيتها متواضع للغاية لا يحوي إلا النزر القليل من الاثاث الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنـه .

فهي مثال المرأة المسلمة المترفعة عن المواد الدنيوية والصاعدة بروحها وروحياتها الى افق الكمال وسماء العصمة والفضيلة فأن النفس البشرية اذا استنارت بنور الاسلام واذا نفذت الى مكنوناتها تعاليمه وحِكمه استغنت بمعنوياتها على كل ما تحتاج اليه النفوس الضعيفة من مقومات لشخصيتها .

نعم هكذا كانت فاطمة الزهراء وهي قداحة النبوة وزهرة الهاشميين فتاة في أحضان الابوة الرحيمة ، وهكذا كانت وهي عروس تزف الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام فقد خطبت الى أبيها من قبل كثيرين كان منهم أكابر الصحابة والرسول يردهم بشتى الحجج والمعاذير ويقول لهم انه ينتظر فيها أمر السماء فقد كان صلوات الله عليه يعلم ان نسله قد انحصر في فاطمةٍ وأن فاطمة وبعلها وبنوها هم الذين سوف يكونون الامتداد لرسالته

ولدعوته السماوية ولهذا فقد كان ينتظر الرجل الجدير بتحمل هذه المسؤولية فلم يكن يتوخى في زواجها مالاً ولا ثراءً ولكنه كان ينتظر لها الكفؤ .

وفي يوم مبارك وبعد اذ كان النبي صلى الله عليه وآله قد رد كل من تقدم لخطبة الزهراء وبما فيهم أبو بكر وعمر أقبل علي امير المؤمنين عليه السلام الى رسول الله (ص) كما كان يقبل ، فيحيه ويجلس اليه كما كان يجلس ، ولكن الرسول يحس ان ابن عمه قادم لأمر هام وقد عرف ذلك لفراسته الشخصية وللايحاء النبوي . فيقبل عليه وهو يسأله متلطفاً مشجعاً وكله حب وحدب على الشاب العزيز الجالس أمامه . هذا الشخص الغالي الذي آخاه واصطفاه والذي فتح له قلبه رضيعاً ومهد له بيته صبياً .

وها هو الآن يوشك أن يسلمه أغلى شيء عنده وأعز مخلوقة عليه ثم يقول ما حاجة ابن ابي طالب وما الذي يشغل فكرك يا ابن العم ؟ وكانت هذه الكلمات الرحيمة هي التي شجعت ابن عم الرسول على أن يقول بصوت خفيضٍ وهو يغض بصره امام رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : ذكرت فاطمة بنت رسول الله ، ثم يسكت ولا يقوى على الافاضة أكثر مما قال فيجبه الرسول وهو على ما عليه من

بشر ورقةٍ لا متناهية مرحباً وأهلاً . ويسكت لحظة ليعود فيسأله حدباً مشفقاً وهل عندك شيء ؟ فيجيبه علي وهو لا يزال مغضٍ ببصره الى الأرض ، لا يا رسول الله . فيسكت الرسول لحظة ثم يتذكر ان علياً أصاب درعاً من مغانم بدر فيعود ليسأله أين درعك الذي اعطيتك إياه يوم كذا فيجيب علي وقد غلبه التأثر لما يلقى من بر النبي ورعايته وما يلمس من روح ابن عمه وصفائها وهو يعلم انه جاء يخطب الى النبي (ص) فاطمة التي هي أعز مخلوقة عند رسول الله ، فيجيب : هي عندي يا رسول الله فيقوم النبي صلوات الله عليه ثم يدخل على ابنته الغالية ليرى رأيها فيما يطلبه ابن عمه وأخيه ويقول لها متلطفاً رفيقاً باراً : يا عزيزة أبوها الغالية لقد ذكرك ابن عمك علي فما رأيك في هذا يا بنتاه . والزهراء كانت تعرف ابن عمها علي وتعرفه كما لا يعرفه غيرها من الناس .

فهو سيف أبوها ودرعه والمفادي له بنفسه والباثت على فراشه وحامل لوائه هذا عدا أنها كانت تسمع وعلى طول الخط مدحه والاعجاب فيه من رسول الله (ص) وكانت تشعر دائماً وأبداً ان ابن عمها علياً هو أقرب المسلمين للرسول وأحبهم اليه وهي الآن على ثقة من أن رسول الله (ص) راغب في هذا محبذٌ له وإلا فما

كان ليسألها عن رأيها فيه فما أكثر ما خطبت الى أبيها قبل اليوم وكان يردهم دون أن يسألها عن رأيها في الخطاب وعلى هذا ولكونه جاء ليرى رأيها في علي ابن ابي طالب ، عرفت الزهراء صلوات الله عليها رأي أبيها في علي وفي هذه الخطبة ولكنها مع هذا تسكت ولا تتمكن ان تجيب فما عساها أن ترد على رسول الله (ص) وحياؤها العذري يمنعها من التصريح بما تريد ورضاؤها بهذا الخاطب وقبولها لهذه الخطبة يمنعانها من الرفض فتطرق الى الأرض ولا تجيب والرسول (ص) في كل هذا يتطلع اليها ويقرأ ما ينطبع على ملامحها من أحاسيس وانفعالات ويشعر انها راضية ويحس انها مرتاحة مسرورة فيقوم وهو متهلل الوجه ، باسم الثغر ويقول : سكوت الباكر علامة رضاها فلا ترد عليه ولا تعترض فيبتسم ويخرج الى ابن عمه ليخبره برضاء الزهراء ويقول له أين الدرع يا علي فيذهب علي مسرعاً ويأتي بالدرع فيأمره النبي أن يبيعها ليجهز العروس بثمنها وقد اشتراها عثمان بأربع مائة وسبعين درهماً حملها علي صلوات الله عليه ووضعها امام الرسول فتناولها بيده الكريمة ثم دفعها الى بلال ليشتري ببعضها طيباً وعطراً ويدفع الباقي الى ام سلمة لتشتري جهاز العروس ثم يجمع النبي صحابته وآله ويشهدهم انه زوج ابنته

فاطمة من ابن عمه علي ابن ابي طالب على أربع مائة مثقال من الفضة على السثنة القائمة والفريضة الواجبة ثم قدم للضيوف حلوى العرس الهاشمي النبوي وهو وعاء تمر .

على هذا النمط البسيط وعلى هذا النحو القدسي تمت خطبة الزهراء بنت رسول الله الى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب وتأخر الزفاف الى الوقت الذي يتم فيه جهاز العروس ويهيأ بيت العريس .

نعم هكذا بكل بساطة تمت خطبة أعظم خطيبين فالزهراء عندما خطبت لابن عمها لم تكن تفكر في شيء مما يشغل افكار غيرها من العرائس . لم تكن تهتم بما يملك عريسها من مال وما يهيأ لها من أثاث ورياش . لم تكن تحفل بالسفاسف من الامور كأن تكون خطبتها خطبة رسمية عامة شاملة تعمر بالترف والبذخ لم تكن تحفل بكل هذه الامور الدنيوية فهي ابنة رسول الله وابنة خديجة الكبرى .

أوليست امها هي التي بذلت المال رخيصاً في سبيل العقيدة أوليست امها هي التي استبدلت القصر الشامخ بالبيت المتواضع والترف الزاهي بشظف العيش ومرّه .

وها هي ابنتها فاطمة تخطب الى علي أمير المؤمنين بهذه

الروعة اللا متناهية التي كونتها هذه البساطة في الخطبة فالامام علي كان يخطب شخص الزهراء بنت رسول الله والزهراء صلوات الله عليها قبلت بالزواج حباً بعلي وبشخصه لا غير فلولا ان خاطبها كان علي ابن ابي طالب لما رضيت ان تفارق أباها وبيته الى أي زوج كان ولكنها كانت تعلم انها بزواجها من علي ابن ابي طالب تتقرب الى أبيها والى رسالته أكثر منها قبل الزواج وانها اذا قرنت حياتها بحياة علي تمكنت ان تسند علياً بجهادها الاسلامي وان تركز جهاد ابن عمها بمؤازرتها له ولذلك فقد تلقت عرض الزواج بكل ارتياح .

واني لأعجب لما كتبته الدكتورة بنت الشاطيء في كتاب بنات النبي وما عللت فيه رضاء الزهراء بعلي ابن ابي طالب وما بينته في اسلوب هو أقرب الى الخيال القصصي منه الى الواقع فقد أوعزت الدكتورة بنت الشاطيء زواج فاطمة والدافع الذي دفعها لذلك هو دخول عائشة في بيت النبي وفي حياته بعد إذ كانت الزهراء معرضة عن الزواج في إصرار وهذه الفكرة القصصية الخيالية كان من الممكن فرضها على عائلة غير عائلة رسول الله وعلى اسرة غير اسرته صلوات الله عليه كأن تأتي الدكتورة لتحدثنا حديث أسرةٍ عادية مكونة من أب وأربعة بنات وأم ثم يتزوجن

البنات الثلاث وتعرض الرابعة عن الزواج إيثاراً لصحبة أبيها عن غيره وتموت الزوجة الاولى فتدخل في حياة الأب زوجة جديدة لا تؤثر تأثيراً بالغاً على مكانة البنت الرابعة التي كانت في البيت ولكن الزوجة الثانية التي تدخل في حياة الأب بعد الام الراحلة امرأة ثانية تستهويه وتمتلكه كله وعند ذلك تفهم البنت الرابعة التي آثرت صحبة أبيها عن الزواج انها لم تعد كما كانت في بيت أبيها وفي قلبه بعد اذ شغلت المرأة الجديدة حياة أبيها واستمالت قلبه نحوها ولم تترك للبنت الباقية في بيت أبيها مجالاً لدلال أو رغد من العيش .

وهنا يجب أن نفترض أولاً ان رب الاسرة رجل ضعيف الشخصية ضئيل العاطفة مندفع وراء ملذاته الحسية لكي تتمكن من الانسجام مع هذه الاقصوصة ونصدقها كما هي .

فان أي زوج وأي أب اذا كان قوي الشخصية ولو قليلاً واذا كان يحمل عاطفة أبوية ولو عاطفة جزئية لا يمكن لنا أن نصدق انه يخضع لسلطان امرأة مهما كانت تلك المرأة ومهما تمتعت به من سحر وفتنة ولا يمكن للمرأة تلك أن تجعل بيته يضيق بابنته التي كانت حسب بداية الاقصوصة تمتنع عن الزواج حباً في أبيها وإيثاراً لصحبته .

ومن المؤكد ان بيت الأب لا يضيق بأبنته إلا اذا ضاق الأب بابنته ولا يضيق الأب بابنته إلا اذا كان معدوم العاطفة مسلوب الشخصية .

عند هذا وبعد كل هذه الفروض يمكن لنا أن نصدق هذه القصة كما جاءت بها الدكتورة (كصورة من حياتهن) .

ولكن هذه الاقصوصة اذا طالعتنا بها الدكتورة وهي تنسبها الى أهل بيت النبوة والى اسرة يكون الأب فيها رسول الرحمة وتكون البنت فيها فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين لا يمكن لنا أن نصدقها بأي حال من الاحوال ولا يصح لنا أن نصدقها أيضاً لما تستلزمه من فروض لا تنطبق على أهل البيت .

فنحن اذا سلمنا ان الزهراء كانت رابع بنات أربعة فيجب علينا أولاً أن نتعرف على أزواج أخواتها والسبب في عزوفها عن الزواج بعد زواج أخواتها الاخريات ونرى ان اختين من أخواتها قد لاقيا من المحن والاضطهاد الشيء الكثير حتى ان أزواجهما أرجعاهما الى بيت رسول الله عداءً لهما ولرسول الله (ص) .

فنحن اذا سلمنا بوجود أخوات للزهراء وجب علينا أن نسلم بزواجهن وبأزواجهن وفي هذا دليل كافٍ نفهم منه عزوف الزهراء عن الزواج اذا صح انها كانت عازفة كما تزوجن أخواتها

بعد إذ رأت بعينها المصائب التي أصابت اخواتها من هذا الزواج . وشتان بين أزواج أخواتها وبين من رضيت به زوجاً لها وقريناً . فزواج أخواتها ونوعيته أكبر مثبط لها عن قبول هذه التجربة . وخطبة الامام علي لهـا وخصوصياته أكبر دافع لهـا لقبول العرض بالرضاء التام .

كان ذاك هو المانع وكان هذا هو الدافع لا أكثر ولا أقل طبعاً هذا اذا سلمنا مع الدكتورة بوجود أخوات للزهراء صلوات الله عليها ثم انها كانت تعلم ان حاجة أبيها لها وهو في مكة أكثر منها وهو في المدينة . فقد كان الاضطهاد والشرك والظلم قد خف وتلاشى في المدينة ومهما علت كلمة الاسلام اطمأنت الزهراء على أبيها وعلى راحته النفسية ثم انها حينما كانت ترفض الزواج كانت ترفضه لكي لا تخرج من حياة أبيها ولكي لا تبعد عن رحابه وعرينه وزواجها بعلي كما كانت تعلم واثقة انه سوف يقربها لأبيها ويدنيها اليه أكثر وأكثر وانها لن تترك بيت أبيها بل ستكون لأبيها بيتاً جديداً هو بيتها الذي يضمها وابن عمها علي ابن ابي طالب وفعلاً فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ هذه الآية الكريمة كلما مر على باب فاطمة وعلي : (وإنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيراً) صدق الله العظيم .

وقد عرفت الزهراء كل هذا ولأجل هذا رضيت بابن عمها وآثرت بيته عن البقاء في بيت أبيها ولا دخل لأي امرأة من نساء النبي في زواجها ودواعيه وإنما اعرضت عن الزواج لعدم وجود الكفؤ وأقدمت عليه بعد اذ وثقت من كفائة الزوج .

ولا أدري كيف سمحت الدكتورة بنت الشاطيء لنفسها أن تفسر قبول فاطمة للزواج بدخول عائشة في حياة النبي وتقلص مكانة البنت في قلب أبيها . هذه البنت التي كانت كل شيء لأبيها في قلبه وحياته وقد جاء في الاستيعاب عن السيدة عائشة نفسها انها سئلت أي الناس كان أحب الى رسول الله ؟ قالت : فاطمة فسئلت فمن الرجل ؟ قالت : زوجها . وجاءت هذه الرواية أيضاً عن الترمذي وفي الاستيعاب بسنده عن ابن بريدة عن أبيه وفي المستدرك بسنده عن جميع بن عمير وصححه وقد رواه الترمذي بسنده عن بريدة مثله . وروى الحاكم في المستدرك وصححه بسنده عن جميع بن عمير . : قال دخلت مع أمي على عائشة فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسألها عن علي فقالت تسألينني عن رجل والله ما أعلم رجلاً كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علي ولا في الارض امرأة كانت أحب الي

رسول الله من امرأته فاطمة ؟ وقد كان رسول الله يكرر دائما ان فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها وان فاطمة شجنة مني ، يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها الى غير ذلك من الروايات الكثيرة الواضحة .

ونشطت ام سلمة لكي تجهز العروس الغالية فاشترت لها قميصاً بسبعة دراهم وخماراً بأربعة دراهم وقطيفة سوداء خيبرية وسريراً مزملاً بشريط وفراشين من خيش حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من صوف الغنم وأربع مرافق من ادم الطائف حشوها إذخر وستراً رقيقاً من صوف وحصيراً هجري ورحى لليد ومخضباً من نحاس وهو اناء تغسل فيه الثياب وسقاء من ادم وقبساً للبن وشناً للماء ومطهرة مزفتة وجرة خضراء وكوز من خزف ونطعاً من ادم وعباءة قطوانية وقربة ماء ولما اتمت ام سلمة هذا الجهاز البسيط الرائع روعة قدسية لا متناهية جاءت به الى رسول الله صلوات الله عليه فجعل يقلبه بيده الكريمة وهو يقول بارك الله لأهل البيت ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف وفي بعض الروايات انه استعبر وبكى وهو يقلب جهاز حبيبته المتواضع وكان العريس مشغولاً بدوره أيضاً يجهز بيته ويهيأه لاستقبال ابنة رسول الله وكان

جهاز الامام صلوات الله عليه ان نشر رملاً ليناً في صحن الدار ونصب خشبة من حائط الى حائط للثياب وبسط إهاب كبش ومخدة ليف . وفي رواية ابن سعد عن بعض من حضرن عرس فاطمة قلن دخلنا البيت مع العروس فاذا اهاب من شاه على مصطبة ووسادة فيها ليف وقربة ومنخل ومنشفة وقدح هذا ما روي عن اثاث امير المؤمنين وهو في طريقه لمصاهرة رسول الله . وعندما أتم الامام تجهيز بيته وتهيأته . وعلم أصحابه انه قد أكمل ذلك قال له جعفر وعقيل ألا تسأل رسول الله يدخل عليك اهلك فقال لهم الحياء يمنعني من ذلك فقاما عنه ولقيا ام ايمن مولاة رسول الله فذكرا لها ذلك فدخلت الى ام سلمة فأعلمتها وأعلمت نساء النبي ان علياً قد أتم تجهيز بيته وهو يرغب أن ينقل اليه أهله فاجتمعن عند رسول الله وقلن فديناك بآبائنا وامهاتنا يا رسول الله إنا قد اجتمعنا لأمر لو كانت خديجة في الاحياء لقرت عينها به وروي عن ام سلمة انها قالت لما ذكرنا له خديجة بكى رسول الله وقال : خديجة وأين مثل خديجة : صدقتني حين كذبني الناس ووازرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها ، ان الله عز وجل أمرني أن ابشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب . وقالت ام سلمة فديناك بآبائنا وامهاتنا انك لم

تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير انها قد مضت الى ربها فهنأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في الجنة . يا رسول الله هذا أخوك وابن عمك علي بن ابي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته فقال النبي حباً وكرامة ثم انه دعا بعلي فدخل وهو مطرق حياءاً وقمن أزواج النبي ودخلن البيت فسأله النبي أتحب أن ادخل عليك أهلك فأجاب علي وهو مطرق . أجل فداك ابي وامي فقال ادخلها عليك انشاء الله ثم قام الى نسائه وأمرهن أن يزين فاطمة ويطيبنها ويصلحن من شأنها في حجرة ام سلمة وان يفرشن لها بيتها الذي هيأه ابن عمها .

فدبت الحركة في بيت النبوة وعمت الفرحة على وجوه أهل البيت وشاعت ابتسامة محببة على وجه الرسول وهو يرى نفس الابتسامة قد غمرت وجه ابن عمه وأخيه وغمرت قلب الرسول موجة من رضاء لما آنسه على ابن عمه من لهفة وشوق ولما احس به من نشاط حيوي شاع على علي في حركاته وتصرفاته وفُرش بيت العروس الجديد وزُينت العروس وطيبت ونحرت الذبائح واطعم الطعام وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان ينادى على رأس داره أجيبوا رسول الله فبسط النطوع في المسجد وصدر الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وامرأة رفعوا ما أرادوا

ولم ينقص من الطعام شيء . ثم دعا رسول الله بالصحائف فملئت ووجهها الى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة فقال هذه لفاطمة وبعلها وبعد اذ أكل الناس وشبع كل جائع أتى رسول الله ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة وجاء الى فاطمة الزهراء وهي بين نساء المسلمين وقد هيأنها للزفاف وأخذ بيدها وقال لها اركبي ثم ساعدها على الركوب وأمر سلمان أن يقود البغلة وسار صلوات الله عليه خلفها ومعه حمزة وجعفر وعقيل وبنو هاشم كلهم مشهرين سيوفهم وهم يكبرون ويهللون ومشين نساء النبي وراء العروس وهن يرجزن ويكبرن ونساء المسلمين من حولهن يتلون الأشعار في مدح العروسين حتى دخلن الدار المباركة وانفذ رسول الله الى علي فدعاه وأخذ بيد فاطمة فوضعها في يده وقال بارك الله لك في ابنة رسول الله ثم جمعهما الى صدره وقبل بين أعينهما . وقال لعلي يا علي نعم الزوجة زوجتك . ولفاطمة يا فاطمة نعم البعل بعلك ثم دعا بماء فأخذ منه جرعة فتمضمض بها ثم مجها في القصب وصب منه على رأسها ونضح على صدرها وفعل بعلي مثل ذلك وقال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما ثم انه قام لينصرف فلم تملك فاطمة الزهراء دمعها ولحظ ذلك أبوها فتمهل برهة ثم قبلها في حنو .

وقال انه تركها وديعة عند أقوى الناس ايماناً وأكثرهم علماً وأفضلهم أخلاقاً واعلاهم نفساً ثم انصرف وهو يدعو للعروسين وكانت أطياف خديجة في تلك الساعة تعاوده ملحاحة فقد شعر في تلك الليلة بفراغ لخديجة عجز حتى هو أن يسده بالنسبة لابنتهما الغاليةوما أكثر ما كان يشعر بهذا الفراغ في شتى المناسبات والظروف وبهذا بدأت الزهراء حياتها الجديدة في بيت الزوجية السعيد . البيت الذي شهد أسعد مناسبات أهل بيت النبوة واصبح مصدراً لاشعاعات الرسالة ومنبعاً زاخراً بالخير والبركة وقد تلاشت القيم المادية في أرجائه حتى استحالت الى لا شيء وتعالت المثل الروحانية فيه فأصبحت كل شيء .

واما أخوات الزهراء الثلاث فهناك شك من الناحية التاريخية في بنوتهن للرسول (ص) حتى ذهب بعض المؤرخين الى التأكيد على انهن ربيباته وبنات السيدة خديجة من زوجها الأسبق ولهذا الشك مبرراته التاريخية فنحن اذا جمعنا بين طائفة من المسلمات التاريخية انتهينا حتماً الى الشك في بنوتهن على أقل تقدير فالتاريخ يقرر :

أولاً ــ ان المدة التي قضاها النبي في حياته الزوجية مع خديجة قبل البعثة لا تزيد على خمسة عشر عاماً لأنه تزوج في

الخامسة والعشرين من عمره المبارك وبعث في الاربعين .

ثانياً — ان زينب هي كبرى الاخوات الثلاث وتصغرها رقية بثلاث سنوات وام كلثوم أصغر منهما معاً وان لم يحدد التاريخ التفاوت بينها وبين اختيها بالضبط .

وثالثاً — ان الاخوات الثلاث للزهراء كن قد تزوجن جميعاً قبل البعثة وسعدن في حياتهن الزوجية وانجبت بعضهن أولاداً ثم ارجعن بعد البعثة الى بيت النبي بدافع من التنكيل به واحراجه

هذه مسلّمات تاريخية ثلاثة اذا جمعنا بينها كان من الطبيعي أن تلقى ظلالاً من الشك أو مبررات لانكار بنوة الاخوات الثلاث للرسول الأعظم لأنه لو كن بناته لما كان من الممكن أن يزيد عمر كبراهن وهي زينب عن أربعة عشر عاماً في وقت البعثة ولا عمر رقية عن أحد عشر سنة ولا عمر ام كلثوم عن عشر سنوات على اكثر تقدير لأن الفاصل الزمني بين بدء الحياة الزوجية للنبي وخديجة وبين البعثة خمسة عشر سنة كما تقرره المسلمة التاريخية الأولى وبعد أخذ الفوارق التي تقررها المسلمة التاريخية الثانية بين أعمار الأخوات الثلاث ينتج ما قررناه من عدم اجتياز ام كلثوم للعقد الأول من عمرها في وقت البعثة وهذا لا ينسجم طبيعياً مع ما يحدثنا التاريخ في المسلمة التأريخية الثالثة من زواج

البنات الثلاثة قبل البعثة لأن من غير المألوف ان تتزوج ام كلثوم قبل اكمال عقدها الأول وتعيش مع زوجها مدة ثم ترجع الى بيت أبيها وهي لم تكمل العاشرة بعد .

وهكذا يتضح ان افتراض بنوة زينب ورقية وام كلثوم للنبي يكلفنا على ضوء المسلّمات التاريخية الثلاث السابقة افتراضاً آخر يقضي بزواج ام كلثوم في التاسعة أو العاشرة وهذا الافتراض وان كان ممكناً من الناحية العقلية ولكنه غير مألوف الى درجة قد تسمح للباحث بعدم قبوله . واما اذا انطلقنا في توفيقنا بين المسلمات التاريخية الثلاث الآنفة الذكر من القول ان البنات الثلاث ربيبات الرسول فسوف يتاح لنا أن تتقدم بتاريخ ولادتهن الى ما قبل زواج النبي بخديجة وان تتصور أم كلثوم قبل البعثة فتاة مكتملة لها كل مؤهلات الزواج . أضف الى هذا ان خديجة اذا كانت زوجة معطاء بدرجة انها تعطي زوجها وهي في العقد الخامس أربعة من الاولاد كما يفترض القائلون ببنوة أخوات الزهراء الثلاث للنبي .

أفليس من حقنا أن تتساءل عن عطائها لزوجها السابق قبل النبي حين كانت في أوج شبابها ونشاطها الى كثير من هذه الأسئلة التي لا نجد لها جواباً أفضل من القول بأن الأخوات

الثلاث ربيبات النبي وبنات خديجة من زوجها السابق .

وعلى أي حال من الأحوال فهن نساء عشن في حياة النبي سواءاً كن بناته أو ربيباته فان قلب النبي يتسع للبعيد البعيد فرضاً عن الربيب القريب .

فامّا زينب كبرى الأخوات فقد تزوجت من ابن خالتها ابو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي وقد سعدت معه وعاشا معاً حياة زوجية هانئة حتى انبثقت رسالة الاسلام وانطلقت كلمة الحق ودخل الناس في دين الله أفواجاً ولكن أبو العاص يأبى أن يترك دين آبائه وتمنعه العصبية الجاهلية ان يسلم كما اسلم غيره فيقال عنه انه ترك دين الآباء والأجداد ودخل في دين حميه . وزينب وقد أسلمت مع أول من أسلم تشقى لعزوف زوجها عن الاسلام وتتألم لهذا أشد الألم فهي تعز زوجها وتحبه لكونه قرينها ومصدر سعادتها في الحياة ولكونه أبو أمامة ، ابنتها الوحيدة الغالية ولكن الاسلام أحب اليها ورسول الله (ص) أعز عليها وتبقى تنتظر اليوم الذي يشرح الله فيه قلب زوجها للاسلام وهي تأمل أن يكون ذلك اليوم قريباً وتظل ترقب كلمة الاسلام وهي تغزو بنورها القلوب والأرواح وتدعو الله مخلصة أن يكون زوجها فيمن اهتدى بنور الاسلام

وما أكثر ما دعته الى الاسلام وحبذت له ذلك وعددت له أسماء أكابر الرجال الذين دخلو في دين الله طائعين ولكنه كان يرد عليها دائماً انه لا يتمكن من أن يقال ان أبو العاص اطاع زوجته وعصى عشيرته ولهذا فقد ظللت حياة زينب سحابة قاتمة من الهموم والأحزان .

ويهاجر النبي الى المدينة ويخلف زينب في مكة وهي تتابع عن بعد انتصارات رسالة الاسلام وتفتخر لهذه الانتصارات وتزداد أملاً في اسلام أبو العاص ولكنها تصحو في يوم لترى قريش وقد شاع فيها خبر هام فقد عاد ضمضم بن عمر الغفاري وكان مسافراً في تجارة الى الشام مع أبي سفيان فما بلغ مكة حتى وقف على بعيره وحول رحله وشق قميصه وصاح يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى لكم ان تدركوها الغوث الغوث ولهذا فقد تهيأت قريش للحرب ونهضت لمواجهة الاسلام وفي مقدمتهم طبعاً أبو العاص زوج زينب وعرفت زينب انها الحرب فأما انتصار المسلمين الذي توده وتأمل فيه وأما انتصار قريش واذا انتصر الاسلام فسيندحر زوجها أبو العاص واذا انتصر أبو العاص فالويل لها بكسيرة الاسلام ورسول الله . فضلت زينب وليس في مكة من هي أتعس

منها وأشقى حتى أتتها عاتكة بنت عبدالمطلب لتخبرها باتتصار رسول الله واندحار المشركين من قريش ويهز النبأ السعيد زينب وتفرح له لحظة ولكنها سرعان ما تذكر أن زوجها في جيوش المشركين ولابد أن يكون قتيلاً أو جريحاً ولكنها تأبى أن تظهر شيئاً من هذا لكي لا تشوه فرحة الانتصار السعيد وتسكت على جزع وفرح مزدوجين وقد كانت عينا عاتكة تلاحظها بتفحص دقيق فلاحظت عليها ما أرادت أن تخفيه فأسرعت قائلة ان أبا العاص اسير عند رسول الله هو وكثير من رجال قريش وهنا تكتمل الفرحة عند زينب وتشعر بلذة الانتصار الحقيقي وينشطن نساء قريش بتهيأة الفدية وتبعث كل امرأة منهن أكبر فدية ممكنة فهن يغالين فيها ويفاخرن بكثرتها ولكن زينب تبعث لرسول الله فدية معنوية رمزية وهي قلادة امها خديجة التي أهدتها لها ليلة الزفاف وتؤثر هذه الفدية المتواضعة على الرسول فهي قلادة خديجة حبيبته المصطفاة ويطرق الى الأرض لحظة ثم يرفع رأسه ليقول لأصحابه اذا رأيتم اطلاق اسيرها فاطلقوه فلا يتردد المسلمون لحظة في اطلاق سراح أبو العاص ويستدعيه رسول الله ويسر اليه أمراً ويلحق أبو العاص بأهله فتستقبله زينب فرحانة فخورة وهي تأمل أن يكون قد أسلم واهتدى الى الحق ولكنها تراه ليس كما

تعهد فقد بدا وهو مثقل بالهموم والأحزان ويقول لها والعبرات تكاد تسبق كلماته لقد اتيت مودعاً يا زينب فقد أمرني رسول الله أن ابعث بك اليه فلا تبهت زينب لهذا الخبر ولا تستغربه مطلقاً فهي كانت تعلم ان رسول الله لن يبقها مع ابي العاص اذا يأس من اسلامه ثم انها مشوقة الى رسول الله والى أخواتها الحبيبات ولكنها ستشقى بفراق ابي العاص وسوف تألم للبعد عنه وسوف يشق عليها أيضاً أن ترى ابنتها أمامة وهي كاليتيمة بين لداتها وعلى كل فقد أخذت تتهيأ للسفر الى حيث الاسلام والأحباء وسافرت بعد حصار شديد فرضته عليها قريش انتقاماً وتنكيلاً وخلفت ورائها أبا العاص وهي اشفق ما تكون عليه ولم تشغلها فرحة لقاء الأحبة عن ابي امامة فقد كانت تدعو الله دائماً وأبداً أن يهديه الله للاسلام ويخرج أبو العاص في تجارة وتعرض له قواة المسلمين في الطريق فيفر هارباً ويلتجأ الى زينب فتحميه وترد عنه غضب المسلمين وتعود فتدعوه الى الاسلام لكنه يسكت فلا يجيب ويطلب اليها أن ترد اليه تجارته لأنه يأبى ان يرجع الى قومه وقد خان الامانة فتتوسط زينب في ذلك عند المسلمين فيردون له تجارته وأمواله كاملة ويرجع بها الى مكة ويسلم الاموال الى أصحابها حتى يتأكد من انه قد ابرأ ذمته من كل وديعة وأمانة .

ثم يرجع الى المدينة ويدخل على رسول الله فيسلم بين يديه ويقبل الرسول اسلامه قبولاً حسناً ويرد اليه زينب وتعود السعادة لترفرف فوقهما مرة اخرى ويخلدان الى راحة نفسية عميقة والى حياة زوجية سعيدة .

واما رقية وام كلثوم فقد خطبا الى عتبة وعتيبة ابني أبي لهب قبل الاسلام وزوجا قبل الاسلام ولاقيا أصناف العذاب من ام جميل حمالة الحطب قبل الاسلام أيضاً .

وما انبثقت كلمة الاسلام إلا وارجعت حمالة الحطب رقية وام كلثوم الى بيت رسول الله ضناً منها أن ذلك يؤذي الرسول ويثقل عليه ولكن الأمر بالعكس تماماً فان رسول الله قد سر لذلك وأنس لخلاص الاختين من الأساليب الوحشية التي كانت تتفنن بها أم جميل ويتقدم عثمان بن عفان ليتزوج رقية ويهاجر بها الهجرتين ولكنها نظراً لما لاقته من أهوال وما تحملته من مصاعب داخلية وخارجية نزلت بها العلة وتخطفتها ايدي الموت وهي في ريعان الشباب ويعود عثمان بن عفان ليخطب اليه ام كلثوم وتتم الخطبة ويتم الزواج وتعيش ام كلثوم حتى تتوفى قبل رسول الله بمدة قليلة على بعض الروايات .

ضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدة بعد خديجة

وهو لا يفكر في الزواج حتى جاءته خولة بنت حكيم وأخذت تحبب اليه الزواج واستئناف الحياة الزوجية وقالت فيما قالت ان شئت البكر وان شئت الثيب فأجابها صلوات الله عليه : فمن البكر ؟ فتقول عائشة بنت أبي بكر ويقول من الثيب ؟ فتقول سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك فاختار سودة وسودة هي بنت زمعة بن قيس بن عبدشمس بن لؤي وامها الشموس بنت قيس النجاري من الانصار وكان زوجها الأول ابن عمها السكران وقد أسلما معاً وهاجرا الى الحبشة مع من هاجر في الهجرة الثانية ثم رجعا الى مكة وتوفى عنها زوجها بعد رجوعهما من الهجرة وكانت رضوان الله عليها من أسبق النساء الى الاسلام فآمنت وهاجرت وهجرت أهلها وقد نجا بها زوجها الى الحبشة فراراً من إعنات المشركين لهما فلما مات لم يكن لها ملجأ سوى أن تعود الى أهلها فتصبأ وتؤذى فهم يحقدون عليها اسلامها وهجرتها وفرارها مع زوجها الى الحبشة فهم اذا نالوها سوف لا يتوانون عن النيل منها بأي ثمن ولذلك فقد اختارها رسول الله ليضمها الى حمايته وليعوضها عما لاقت في سبيل اسلامها وهكذا قدم رسول الله المصلحة العامة على مصلحته الشخصية والمعنى الروحي عن لذات الحسن والمال والمتاع والثيب عن البكر .

وكانت نعم الزوجة المخلصة المتحسسة لمسؤوليتها كأم للمؤمنين وقد عرفت انها الزوجة الثانية للرسول وانها وافدة على دار تضم بين جدرانها فاطمة الزهراء ريحانة النبوة والرسالة وقد بنى بعدها بعائشة بنت أبي بكر وكانت بنت التسع سنين على بعض الروايات وكانت من القلائل اللاتي لا يقف طموحهن عند حد ولا تكاد تستقر أو ترتاح دون أن تبلغ القمة من المجد بأي ثمن وكانت عصبية المزاج حادة الطبع عنيفة في سلوكها وكانت أيضاً حادة الذكاء شديدة الغيرة تغار على قلب زوجها فلا ترضى أن يشاركها فيه أحد . وقد روي عنها انها قالت استأذنت هالة بنت خويلد على رسول الله (ص) فعرف في استأذانها استأذان خديجة فارتاع لذلك وقال اللهم هالة . قالت فغِرت . وقلت ما تذكر من عجوز من عجايز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر وقد أبدلك الله خيراً منها فتغير وجهه تغيراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة ينزل أرحمة هو ام عذاب وقال : ما أبدلني الله خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل منها الولد اذ حرمني من أولاد النساء . وكانت حريصة أيضاً على ان لا تدخل في حياة النبي امرأة تفوقها جمالاً أو تزيد

عنها في احدى الخصال فالتاريخ يروي ان رسول الله (ص) لما أراد أن يخطب اليه أسماء بنت النعمان وكانت من أجمل أهل زمانها قالت السيدة عائشة ان رسول الله (ص) قد وضع يده في الغرائب ويوشكن أن يصرفن وجهه عنا وذهبت اليها وقالت إن أردت أن تحظي عند رسول الله فتعوذي بالله منه فلما دخل عليها رسول الله قالت أعوذ بالله منك فقال عذت معاذاً ثم خرج وألحقها بأهلها . وكانت تقول بعد ذلك ادعوني بالشقية وقد ماتت كمداً ولم يكن ليقعد بها حبها للرسول وإيثارها له عن ان تنقاد لطموحها وقد اخرج ابن سعد في طبقاته عن عائشة قالت : ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ومارية هذه بعث بها المقوقس صاحب الاسكندرية الى رسول الله في سنة سبع من الهجرة ومعها اختها والف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً لينا وبغلته الدلدل وحماره غفير ومعهم خصي يقال له مابور وهو شيخ كبير وقد بعث بهم جميعاً مع الحاطب ابن ابي بلعة وقد عرض الحاطب ابن أبي بلعة على مارية الاسلام ورغبها فيه فأسلمت هي واختها ثم تزوجها رسول الله فولدت له ابراهيم وكان معجباً بها وقد كانت بيضاء جعدة جميلة وقد وهب رسول الله لمن بشره بولادة ابراهيم عبداً . وقد حدّثت السيدة عائشة : قالت لما ولد ابراهيم

جاء به رسول الله الي فقال انظري الى شبهه بي فقلت ما أرى من شبه فقال رسول الله (ص) ألا ترين الى بياضه ولحمه فقلت كل من سقي البان الظأن أبيض وسمن هذا كان شعور السيدة عائشة تجاه مارية حينما أحست انها أخذت تحتل مكانة في قلب النبي صلوات الله عليه وهكذا كان شعورها تجاه ابن رسول الله وقد حمله بيديه فرحاناً به طروباً لقدومه ولكنها لسبب من طموحها وغيرتها أجابته بهذا الجواب وكانت هذه الانفعالات تدفع بها الى مواقف وتصرفات خاصة كأن تكسر صحاف بعض زوجات النبي اذا جئن للنبي بطعام مع طعامها وكان رسول الله يغرمها الصحفة فيدفع بصحفتها للتي كسرت صحفتها فأنها وفي سبيل تملك رسول الله (ص) لم تكن تتوانى عن أي شيء حتى عن الطعن في بنوة ابن رسول الله وحتى عن النيل من مقام السيدة خديجة وقد ضلت بعد النبي وتوفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلون من شهر رمضان من السنة السابعة وا الثامنة والخمسين للهجرة .

ومن النساء اللاتي دخلن في حياة النبي صفية بنت أحي بن أخطب من سبط هارون بن عمران من بني اسرائيل وامها برة بنت السمؤل من بني قريظة وكان قد تزوجها سلام بن شكيم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع من يهود بني النظير

وقتل يوم خيبر واصطفاها النبي من بين الأسرى وخيرها بين الاسلام واللحوق بأهلها فاختارت الاسلام وأسلمت فتزوجها رسول الله وقد ذهبت اليها عائشة متنقبة فسألها النبي كيف وجدتيها فقالت وجدتها يهودية فقال لا تقولي هذا فأنها أسلمت .

كما أن من النساء المسلمات اللاتي اشتركن في حياة النبي الزوجية ام سلمة واسمها هند بنت ابي امية سهيل زاد الركب ابن المغيرة المخزومية وامها عاتكة بنت عامر وكانت قد تزوجت ابو سلمة عبدالله بن عبدالاسد المخزومي وهاجر بهـا الى الحبشة الهجرتين فولدت له هناك زينب وسلمة وعمر ووردة وقد حضر أبو سلمة احد فقتل اثر جرح وقد تزوجها الرسول بعد ذلك وكانت سيدة صالحة كاملة وتوفيت في عهد يزيد بن معاوية بعد قتل الحسين عليه السلام .

ومن زوجاته أيضاً حفصة بنت عمر بن الخطاب وقد ولدت قبل البعثة بخمسة سنين وتزوجها عنبس بن حذامة وهاجرت معه الى المدينة فمات عنها بعد رجوع النبي من غزوة بدر ثم تزوجها النبي وتوفيت في شعبان سنة خمسة وأربعين في خلافة معاوية وقد صلى عليها مروان ودفنت في البقيع .

ومن زوجاته أيضاً بنت عمته زينب وكان قد زوجها باسامة

ولكنها لم تستطيع أن تنسجم معه ولم يستطع هو أن ينسجم معها أيضاً نظراً لاختلاف أجوائهما وتباين منزلتهما ولكن رسول الله أراد أن يعطي في هذا درساً اسلامياً لكل من يتعالى أو يتسامى بشيء غير الاسلام وأراد أن يفهم المسلمين ان الرجل باسلامه ودينه وان المسلم كفؤ المسلمة . ولكنه عندما رأى استحالة التوافق بينهما أشار عليهما بالطلاق وتزوجها النبي حرصاً على ان يعوضها عما صدمت فيه في زواجها الاول وبهذا فقد اعطى رسول الله (ص) درسه ولم يغبن حق زينب بل جعلها ام المؤمنين وزوجة رسول الله (ص) وأخيراً فاولاء نساء عشن في حياة النبي كل منهما حسب مكانتها وكفاءتها في الحياة .

المرأة في شريعة النبيّ ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة المرأة فى الاسلام

المرأة هي المدرسة الأولى في الحياة وهي أحد العنصرين الأساسيين في تكوين المجموعة البشرية فنحن حينما نذكر المرأة نرى انها مدرسة نشىء ومربية أجيال وحينما نأتي لنتحدث عن دورها في المجتمع فلاحظ انها في الواقع نقطة لانطلاق المجموعة البشرية ولولاها لما كان هناك بشر على وجه الأرض .

ونظراً لكونها المعهد الفطري للوليد ولكون صدرها هو واهب الحياة للجيل اهتم الاسلام على أن يلقي الضوء في شريعته وأحكامه على المرأة ومكانتها في المجتمع والحياة وان يرتفع بها الى مصاف الرجل لها ما له وعليها ما عليه بعد اذ كانت المرأة مهضومة الحق في جميع الأنظمة الدولية التي وجدت قبل الاسلام

حتى ان كثيراً من الأمم كان قد راج فيها وأد البنات تفادياً من عار وجودهن على وجه الأرض وكان العلماء وزعماء الديانات يبحثون ويتناقشون على طول قرون عديدة في ان المرأة هل هي

انسان أو غير انسان وهل تحمل روحاً ام لا وكانت الديانة الهندوكية مثلاً قد سدت أبواب تعليم كتبهم المقدسة على المرأة لعدم جدارتها لذلك والديانة البوذية لم يكن فيها سبيل للنجاة لمن اتصل بامرأة وأما في الديانات النصرانية واليهودية فقد كانت المرأة هي مصدر الاثم ومرجعه فيهما وكذلك اليونان فلم يكن للمرأة عندهم أي نصيب من العلم والحضارة ولا ثقافة ولا حقوق مدنية وعلى مثله كانت الحال في الروم وفارس والصين وما عداها من مراكز الحضارة الانسانية وكان نتيجة لهذا المقت العام الذي كانت تشعر به المرأة انها نفسها أيضاً نسيت ان لها مكانة اجتماعية وان لها كياناً خاصاً .

ولكن الاسلام هو الدين الوحيـد الذي جاء لكي يعطي الصنفين الذكر والانثى حقه في الحياة وهو الدين الوحيد الذي أصلح عقلية الصنفين وبعث في الأذهان فكرة اعطاء حقوق المرأة وحفظ كرامتها ومن ناحية اخرى فتح امامها أبواب العلم والمعرفة وأباح لها ان تتعلم ما تشاء من العلوم المقدسة كقراءة القرآن ودراسته وتفسيره اذا أمكنها ذلك وقد جاء في الروايات عن رسول الله (ص) انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقد أشاد القرآن في المرأة وخصها في آيات كثيرة تبين مكانتها

في المجتمع « فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض [١] » . « من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون [٢] » . « من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب [٣] » .

وذلك لكي تشعر المرأة المسلمة بمسؤوليتها في المجتمع ولكي يشعر المجتمع بوجودها وباعتبارها عضواً اساسياً في حياته ولكي لا تستغل امكانياتها العاطفية والتكوينية استغلالا ضالماً وعلى هذا الأساس فأن المرأة المسلمة قد حصلت في ظل الاسلام على حقوق وامكانيات لم تحصل عليها أية امرأة سواها في شتى القوانين والتشريعات وقد ارتفع الاسلام بالمرأة لحسابها الخاص ولمجرد كونها انسانة وأعطاها حقها الطبيعي في كل أدوار حياتها الاجتماعية ونحن الآن في صدد اعطاء فكرة مختصرة عن المرأة في تشريعات الاسلام ومفاهيمه .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٥ .

(٢) سورة النمل آية ٩٧ .

(٣) سورة غافر آية ٤٠ .

المـــــرأة

جاء في الروايات الواردة عن الامـام ابي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام رواية يحدد فيها مفهومه ومفهوم الاسلام عن المرأة فيقول : (المرأة الصالحة خير من الف رجل غير صالح) وهو يقصد بها ان يقرر ان الانسانية في نظر الاسلام لها قيمة واحدة وميزان واحد للكرامة بقطع النظر عن كل الصفات الطبيعية التي يتميز بها الأفراد وهذا الميزان الوحيد في نظر الاسلام هو الصلاح والتقوى والأفضلية عنـد الاسلام هي أفضلية العمل الصالح .

فمهما كان الصلاح هنا متوفراً كانت الانسانية أفضل وأكمل ومهما ابتعد الانسان عنه خسر بذلك كرامته في مفهوم الاسلام كائناً من كان فلا الرجل بما هو رجل يفضل المرأة ولا المرأة بما هي مرأة تفضل الرجل ولا يتعارض هذا مع الوظائف التي وزعت على الرجل والمرأة في الأسرة الاسلامية ولا مع القيمومة التي اعطيت للرجل على المرأة فيها فأن هذه القيمومة التي اضطلع الرجل بموجبها بادارة معاش البيت والحفاظ على وحدته لا تعبر إلا عن توزيع طبيعي للوظائف في مجتمع صغير وهو الاسرة

المتكونة من أب يعيل ويحافظ وام تلد وتربي فهي ليست قيمومة أفضلية وإلا لكان كل رجل قيماً على المرأة التي يعايشها وإن كانت امه أو اخته وليس الأمر كذلك .. هذا بعض ما عناه الامام الصادق (ع) في قوله ان المرأة الصالحة خير من الف رجل غير صالح وقد أراد الامام أيضاً أن يفتح امام المرأة مجالاً يمكنها فيه من أن تسمو بصلاحها على الف رجل غير صالح وان تثبت للمجتمع أنها مؤهلة للتفوق على الرجال اذا تقدمت عليهم بالتقوى والصلاح ، وانعكس ذلك في مختلف حقول حياتها العائلية والاجتماعية ولا يكفي أن تكون صالحة في بعض تلك الحقول دون بعض بل المرأة الصالحة هي التي انشرح صدرها للاسلام ولتعاليمه فطهرت روحياتها من عوامل الشر وعقمت فكرتها من شوائب الأهواء الشيطانية وحسنت سيرتها في محيطها الخاص ومحيطها العام وأغلقت امام عواطفها جميع أبواب الحسد والرياء والمكر والخداع وفتحت مشاعرها لتلقى كل ما هو خير وسليم وسلم منها المجتمع وسلمت منه لا تضلم مسكيناً ولا تهضم حقاً ولا تعتدي على أحد ولا تضن بأحد السوء وتحمل اختها المسلمة على سبعين محمل من الخير كما قد اوصاها به الله ورسوله . هذه هي المرأة الصالحة التي جعل منها الامام خيراً من الف

رجل غير صالح .

وهذا هو مفهوم الاسلام عن المرأة بما هي انسانة لها عملها الصالح الذي يرتفع بها الى حيثما تشاء تبعاً لمدى توفره فيها .

والآن فهل لي أن أقول كلمة أخيرة وقبل ان أبدأ بالبحوث الباقية فأقول ان الصلاح بمعناه الحقيقي قلما يتفق لنا نحن بنات حواء واذا صادف فاتفق لواحدة منا قام مجتمعها الضالم في ابعادها عنه أو ابعاده عنها بأي سبيل وحتى بدون ان تشعر هي أيضاً والذنب في هذا ذنبنا نحن وذنب مجتمعنا الفاسد الذي تنعكس فيه المفاهيم وتنقلب القيم ويتنكر للمثل وإلا فأن أبواب الرقي الحقيقي مفتوحة أمامنا لا ترد وافدة ولا تمتنع من قبول قاصدة واسلامنا يعزز ذلك ويشيد فيه ويدعو اليه .

المـرأة والعمـل

يقوم تقسيم الوظائف في كل مجتمع ومحيط على أساس تقبل الاشخاص لتلك الوظائف وامكانياتهم للقيام بها على أحسن وجه . وتقسيم العمل هو ضرورة من ضرورات المجتمع في جميع النواحي والمجالات . وتقسيم العمل يؤدي الى سهولة القيام به مهما كان صعباً ويؤدي أيضاً الى سرعة الانتاج مهما كان بطيئاً وتقسيم العمل والوظائف يساعد المتخصص في كل قسم منه على

النبوغ في ذلك القسم والتعمق فيه خلافاً فيما لو اختلف توزيع العمل وتعاقبت الأعمال المختلفة على العامل فأنه سوف يخسر مروته وعبقريته التي قد يحرزها في عمل واحد .

فأن لكل شخص من الأشخاص استعداده الخاص وطبيعته الخاصة به وتكوينه الفطري والنفسي فنحن لا ينبغي لنا مثلاً ان نجعل من فنان مهندساً أو نجعل من مهندس فناناً فأن لكل منهما هوايته واستعداده الخاص ولا ينبغي لأي منهما أن يخالف اتجاهه الطبيعي أو يعاكس أهوائه واستعداده .

فنحن اذا اجبرنا العامل الميكانيكي مثلاً على أن يكون فناناً واذا أجبرنا الفنان على أن يكون ميكانيكياً نحكم على مواهب كل من الطرفين بالعدم في الوقت الذي نحصل فيه على أبرع عامل ميكانيكي وعلى أروع فنان لو تركنا كل منهما يسير وراء هوايته وطبيعته الفطرية فتقسيم العمل يعتبر من أهم الظواهر الطبيعية وقد شمل حتى تكوين الانسان وتركيبه العضوي فأن لكل عضو من أعضاء الانسان عمله الخاص وفائدته الخاصة وبهذا تكون جميع أعضاء الانسان متساوية من ناحية الاستهلاك ومتوازية في انجاز المهام مثلها في ذلك كمثل تقسيم العمل في المعمل الصناعي فتقسيم العمل في المعمل الصناعي من شأنه أن

يستوجب استعمال كافة الآلات الموجودة في مصنع من المصانع في وقت واحد .

ولا شك ان هذا الاستعمال مفيد من عدة نواحي فهو مفيد للآلات نفسها اذ ان الحركة أفضل لها من الوقوف كما هو مفيد بالنسبة للانتاج اذ ان العامل الذي يتخصص في ادارة آلة معينة يستطيع أن يحصل على أكبر فائدة مرجوة منها وبذلك تصل قوة الانتاج الى أقصى درجتها وحتى على الصعيد الدولي فانا نجد ان تقسيم العمل قد انتشر بين الدول والأقاليم بل وحتى بين الدولة الواحدة نفسها وذلك تبعاً لصفات السكان فيها واستعدادهم الذاتي لأي أنواع العمل وبحسب تربتها ومناخها ونوع المعادن الموجودة فيها ونوعية المحصولات التي تنتجها والقوى المتحركة وتوزيعها .

فقد تتخصص بعض الدول في صناعة المنسوجات وبعضها في صناعة المواد الكيميائية مثلاً وقد تتخصص غيرها في تربية الأغنام أو زراعة القطن أو انتاج النفط بناءً على استعداد الدولة وامكانياتها ولا شك ان تقسيم العمل بين الأفراد في جميع المجالات له أثر كبير في حياتنا الاجتماعية فعلاوة على المزايا العديدة التي يتضمنها فأنه يحكم الروابط بين الأفراد ويشعر الانسان بحاجته

الى أخيه الانسان وبأنه لن يستطيع أن ينتج بنفسه كافة الأشياء اللازمة له فهو مضطر الى أن يعتمد على غيره في الحصول عليها .

وعلى هذا فأن كل واحد من المجموعة البشرية يشعر بأنه مشدود جذرياً الى أخيه الانسان وهذا الشعور يولد التقارب اللا اختياري في المجتمع . فاذا كان تقسيم العمل شاملاً لكل المجالات في جميع الأحوال واذا كانت الحياة قائمة على أساس تقسيم العمل في جميع نواحيها فمن الطبيعي جداً أن يأخذ الاسلام بهذا المبدأ في تقسيم العمل بين المرأة والرجل فيسند لكل منهما الدور الذي هو أكثر كفاءة للقيام به .

فأن لكل من المرأة والرجل مزاجاً خاصاً وتكويناً معيناً لا ينبغي لأي منهما أن ينحرف عنه أو ينفصل منه .

فتوزيع المهام اذاً بين الرجل والمرأة لا يقوم على أساس تسخير أحدهما للآخر بل على أساس تقسيم العمل واعطاء كل منهما نوع المهمة التي تنسجم مع طبعه ومزاجه ولولا توزيع هذه الوظائف والتهيئة التكوينية لهذا التوزيع لما امكن للبشرية أن تعيش على وجه الأرض فكما ان على المرأة أن تقوم بوظائفها الطبيعية في الحياة كذلك على الرجل أيضاً أن يقوم بمهامه بالنسبة للمجتمع والحياة ويكون انجاز هذه الوظائف الطبيعية على سبيل

التعاون والتكافؤ لا على سبيل التسخير والاستخدام .

هذا هو التقسيم السماوي للوظائف البشرية دون رتوش أو استغلال من أحد الطرفين وهكذا شاءت العدالة الربانية أن تجعل البشر متساويين في الوظائف متكافئين في الأعمال دون ظلم أو إجحاف وتقسيم الوظائف على هذا النحو يحفظ لكل من الطرفين مكانته الاجتماعية ويحافظ في الوقت نفسه على كيانه الخاص ويجعلهما معاً خادمين للمجتمع على صعيدين متساويين وكل حسبما تفرضه عليه طبيعته ويدله اليه تكوينه .

ولذلك فقد اسند للمرأة خدمة المجتمع في داخل البيت واسند للرجل خدمة المجتمع في خارج البيت وذلك لأن المرأة بطبيعتها الانثوية الرقيقة أجدر بادارة البيت الذي يقوم على الحب والعطف والحنان .

ولكن هذا التوزيع العادل للوظائف أخذ يستغل من قبل بعض دعاة الشر لابرازه في صورة معاكسة تماماً للواقع تنتج عنه تصورات خاطئة عن ان المرأة في الاسلام لا تعد إلا كونها أداة عمل وآلة انتاج تحت سيطرة الرجل وكان نتيجة لهذه الدعايات السامة ان أخذت المرأة المسلمة تستشعر بنقطة ضعف موهومة وصارت تحاول أن تمحي عنها هذا النقص .

وبما ان الوسيلة الوحيدة التي تمكنها من ذلك هي عدالة السماء وتفهمها الواقعي للحكمة العادلة في هذا التوزيع وبما انها قد انصرفت عن هذه الناحية بعد اذ توهمت اليأس منها فانها لن تتمكن من الاهتداء الى ما تسعى مهما حاولت ذلك ومهما بذلت في سبيل ذلك الغالي والرخيص من عزتها وكرامتها وطهرها الغالي الثمين .

المرأة والحجاب

الحجاب ليس كما يتوهم البعض من انه ختم ملكية المرأة للرجل فان المرأة والرجل من الناحية الانسانية سواء لم يخلق أحدهما ليملك الآخر بل خلق أحدهما ليتمم الآخر ويكمله ولكل منهما جانبان مزدوجان فالرجل انسان وذكر والمرأة انسان وانثى وكل منهما بوصفه انسان يسمح له بالمشاركة في خدمة المجتمع على ان يظهر في مجال الخدمة كانسان لا أكثر ولا أقل . اذن فعدم تظاهر المرأة بانوثتها لا يؤخذ دليلاً على ان الاسلام أراد أن يحجبها من المجتمع فهي عندما تتصل بالمجتمع تتصل به لحساب كونها انسان طبعاً فكما ان للرجل أن يثبت انسانيته في الوجود . للمرأة أيضاً أن تثبت وجودها الانساني ما لها في ذلك حال الرجل

سواء بسواء وفي النواحي التي يتحتم على المرأة التستر فيها يتحتم على الرجل ذلك أيضاً فكما ان المرأة لا يمكن لها أن تتظاهر بانوثتها وبكونها الجنس الناعم عن طريق الخلاعة والتبرج لا يمكن للرجل أن يتظاهر برجولته وذكورته ولا يمكن له أن يعيش في المجتمع الواسع إلا كانسان كالمرأة التي لا يمكن لها أن تعيش في المجتمع الواسع إلا كانسانة وفي المواطن التي يظهر فيها الرجل كرجل علاوة على كونه إنساناً يمكن للمرأة بل ويجب عليها أن تظهر بمظهر الانثى علاوة على كونها انسانة .

وبما ان جاذبية المرأة وسحرها أقوى وأشد تأثيراً من جاذبية الرجل وسحره كان حجاب المرأة أوسع وأشمل من حجاب الرجل فالمرأة التي تظهر في المجتمع بمظهر انسانة بدون رتوش وهوامش تشير الى انوثتها تكون مساوية للرجل على العكس تماماً من المرأة الغربية وان قال لها الرجل انها حرّة في تصرفاتها وفي كل شيء ولكنها في الواقع مقيدة بارضاء الرجل أي رجل كان واشباع رغباته إذ فرض عليها تظاهرها بانوثتها باسم الحرية على ما يتطلب ذلك من تعب وجهد وعلى ما يستنفذ ذلك من وقت للمرأة .

فهل من الانسانية أن تكون المرأة سلعة تعرض لعيون الرجال المتعطشة وهل ان من مستلزمات انسانية المرأة أن تصرف الساعات

الطوال في محلات الكوافير وتحت أيدي المواشط مع ما يلزم ذلك من استهلاك وقت مادي ومعنوي •

كل هذا لأجل أن ترضي الرجل فهل يمكن لأولاء النساء أن يظهرن ولو مرة واحدة فقط بدون علامات تدل على انوثتهن معتمدات على شخصيتهن أو على معارفهن وهل خطر لاحداهن مرة في أنها لو دعيت الى الحفل الفلاني سوف تكون المبرزة بين لداتها لما تملك من معرفة أو لما تتمتع به من شخصية بل ان افكارهن تتجه أول ما تتجه في أمثال هذه المناسبات الى أناقتهن والى تحصيل الأسباب التي تجعل احداهن أكثر جاذبية وفتنة من الاخرى •

وأنا لا أريد أن أقول ان من مستلزمات الأناقة التبرج أو ان التبرج من مستلزمات الأناقة ولا أريد أن أدعو الى التقشف ولكني اريد ان انبه اللاتي جعلن في التبرج والتأنق عماد شخصيتهن ان الواقع يؤكد ان هذا شيء ثانوي لا يعدو كونه ارضاءً للرجل ولو بسبعين واسطة •

المـرأة والملكية

للمرأة المسلمة الحق الكامل في التملك الشخصي والتصرف الكلي فيما تملك من مال وعقار وفي كل أدوار حياتها سواء ان كانت بنتاً أو زوجاً أو اماً وفقاً للنظام العام وليس للزوج المسلم حق في أن يتصرف بما يخص زوجته المسلمة أو أن يمس شيئاً مما تملك بغير اذن منها ورضاء .

ومن هذا نرى ان الاسلام قد أعطى بتشريعه هذا للزوجة المسلمة حقوقاً لم تحصل عليها في تشريعات أي حضارة اخرى منذ أقدم العصور وحتى الآن ففي الشرائع الحديثة التي تعتبر القمة في التشريع البشري وضعت شروطاً عامة للزواج وربط عقد الزواج بعقد آخر اطلق عليه اسم عقد ترتيب أملاك الزوجين وهذا العقد يجعل ثروة الزوجة الى حد كبير تحت سيطرة الزوج ويحرمها من سيطرتها المطلقة بوصفها مالكة للمال بينما يمنح هذه السيطرة للزوج لا على ماله فحسب بل على مال زوجته أيضاً وفقاً لأحد أشكال أربعة سمح القانون بصياغة العقد طبقاً لأي واحد منها تبعاً لما يقع عليه اختيار الزوجين والأشكال الأربعة هي كما يلي :

أولاً — شركة الزوجين وهو تقسيم أملاك الزوجين الى ثلاثة قسم عام للزوجين غير قابل للقسمة وقسم خاص بالزوج وقسم خاص بالزوجة وللزوج وحده حق ادارة الثلاثة أقسام كرئيس للشركة .

والثاني — بدون شركة أو استبعاد الشركة وهو انه لا يوجد في هذا القسم أملاك عامة فكل زوج يحتفظ بأملاكه الخاصة لكن للزوج وحده حق ادارة أملاكه وأملاك زوجته واستثمارها .

الثالث — فصل الأملاك وفي هذا القسم منافع الزوجين منفصلة فكل واحد منهما يحتفظ بملكيته لأملاكه واستغلالها وادارتها على شريطة أن تترك الزوجة الى زوجها جزءاً من ايرادها اشتراكاً معه في نفقات المعيشة .

الرابع — المهر وهو تقسيم أملاك الزوجة الى مهر وغير مهر فالمهر ما جعلته المرأة مهراً عند الزواج من أملاكها أو ما اعطي اليها في عقد ترتيب أملاكها من أقاربها مثلا وللزوج حق ادارته وغلته فقط .

ولنقف الآن عند الشكل الأول من هذه النظم وهو شكل الشركة الزوجية ففيه ان للزوج ادارة ماله الخاص ومال الزوجة الخاص ومال الشركة وحق ادارة أملاك شركة الزوجية خاص

بالزوج كرئيس لها وهو حق خوله له القانون فلا يجوز انتقاصه ولا الغاؤه بشرط في عقد ترتيب أموال الزوجين وسلطة الزوج في ادارة الأموال المشتركة تكون في الأعمال الادارية ومباشرة رفع الدعاوى امام القضاء وفي الأعمال الادارية المحضة تكون سلطة الزوج فيها غير محدودة فيؤجر ويستأجر العقار من غير تحديد وله قبض الايراد وله أن يتصرف فيه كما يريد ويقبض رأس المال من غير مراقبة ولا اذن من أحد وكذلك له السلطة الغير المحدودة في التقاضي فسلطة الزوج في ذلك غير محدودة وليس للزوجة الرجوع عليه بأي تعويض ولو أخطأ خطأ فاحشاً أو أدار ادارة سيئة أو بذر تبذيراً يجعله مسؤولاً قانوناً فهو يعمل كمالك حقيقي ليس عليه أي مسؤولية قبل أي شخص كان وللزوج أيضاً ادارة أملاك الزوجة الخاصة لكن سلطة الزوج في ذلك تختلف عن سلطته في ادارة أموال شركة الزوجية كالآتي :

أولا ــ لا يجوز منع الزوج من مباشرة سلطته في ادارة أموال شركة الزوجية حتى ولو بشرط في عقد ترتيب أموال الزوجين ولكن منع الزوج من ادارة أملاك الزوجة الخاصة يجوز اشتراطه في عقد ترتيب أموال الزوجية فيمكن للزوجة بعد الشرط أن تحتفظ بادارة أملاكها لنفسها خاصة .

ثانياً ـ سلطة الزوج على أموال شركة أموال الزوجية سلطة مطلقة كمالك حقيقي ولكن سلطته على أملاك الزوجة الخاصة سلطة ادارة عادية فقط .

ثالثاً ـ الزوج غير مسؤول في ادارته السيئة والاسراف والتبذير في شركة أموال الزوجية بخلاف ادارة أملاك الزوجة الخاصة فهو مسؤول عن كل خطأ أو اسراف أو تبذير كمدير عادي وعلى هذا فنحن نرى ان سلطة الزوج على الزوجة في أملاكها الخاصة أقل منها في أموالها الخاصة اذا صح لنا ان نعتبر أن تلك الأموال تعتبر أموالاً لها بعد الزواج .

ولكن عقد الزواج في التشريع الاسلامي لا يتعدى شخص الزوجين الى مالهما أو عقارهما اطلاقاً فلا علاقة للزوج بمال زوجته اطلاقاً لأي سبب كان فالزوجة حرة في أن تبيع وتشتري وترهن وتوكل من تشاء لما تشاء بلا معارضة من الزوج إلا في حدود القانون العام من اسراف أو تبذير أو سفه مثلاً فليس للزوج اذا دخل في مالية الزوجة ولا في أهليتها .

فهي كاملة الأهلية في التصرف بأموالها وأملاكها قبل الزواج أو بعده بلا فارق ومهما كانت الزوجة غنية فليست ملزمة في المساهمة بنفقات البيت ولا في نفقات الأولاد واذا انفقت فانما

تنفق نتيجة لروح التعاون لا لحق شرعي أو عرفي والمهر وما يدفع الى الزوجة قبل الزواج أو بسببه من الزوج أو من غيره من الأقارب والأصحاب هو ملك خالص للزوجة لا شأن للزوج به ككل املاكها وأموالها .

هذا هو الزواج في الاسلام وهذه هي المقارنات التشريعية بينه وبين باقي القوانين الوضعية وهذه هي أحكام المرأة في الاسلام والتي تدل على ان الزوجة المسلمة قد حصلت على حق لها في تشريعات الاسلام كما لم تحصل عليه أي زوجة في أي حضارة .

ثم هذه هي المرأة الغربية وقد اعطيناك عنها لمحة موجزة اذ هي زوجة ورأينا استغلال الرجل لها وتلاعبه بأموالها دون حسيب أو رقيب .

وبعد كل هذا يقال ان المرأة الغربية حرة متحررة وان المرأة المسلمة أسيرة مستعبدة . ونحن لو أردنا ان نأتي على جميع المقارنات التشريعية للمرأة المسلمة والمرأة الغربية لضاق بنا المجال ولعلنا سوف نبحث هذا الموضوع في رسالة اخرى انشاء الله ولكن الآن يكفينا لاثبات حرية المرأة المسلمة وعبودية المرأة الغربية هذا المثل الواحد الذي ذكرناه في حق المرأة بالتملك .

وقد قنعت المرأة الغربية من الرجل انه فتح أمامها أبواب

الخلاعة والتكشف وهيأ لها سبيل الاستهتار والتبرج • وحتى هذا فانه لم يكن لحساب المرأة الغربية ولا كان إرضاءً لها ولرغبتها الخاصة بل كان لحساب الرجل واشباعاً لنزواته ورغباته فحتى في عالم الخلاعة والتبرج ليست المرأة الغربية مختارة حرة وانما هي خاضعة أيضاً لشركة جسدية تقابل الشركة المالية ويكون للرجل في هذه الشركة حق التصرف والاختيار أيضاً فقد تعجبه التسريحة الفلانية أو الزينة الفلانية وقد لا يعجبه الزي الفلاني أو التصميم الفلاني وفعلاً فان أكثر مصممي الأزياء من الرجال يخلعون على المرأة الزي الذي يروق لهم والذي يرضى عيونهم وأذواقهم •

وعلى كل حال فان المرأة الغربية مسخرة للرجل ولميوله ونزواته •

واما الاسلام فهو لا يقيد المرأة المسلمة بأي قيد ولا يوجه اليها أي تكليف خاص بها دون الرجل إلا بالحجاب والحجاب كما قدمنا في الفصول السابقة ضرورة من ضروراتها وحقيقة واقعية من حقيقتها الانثوية وليس له أي أثر على سلوكها العام أو الخاص ••

فتصوروا أيهما شريعة الكرامة والحرية الحقيقية بالنسبة للمرأة ، شريعة تقول : من تزوج امرأة لمالها حرمه الله من مالها

لأنها تريد من الرجل أن ينظر الى المرأة بالمقاييس الانسانية لا بالمقاييس النقدية وان يعتبرها شريكة له في حياته لا تجارة رابحة وبين شريعة اخرى تنزل بالزواج عن مفهومه الانساني الخير وتربط بينه وبين انشاء شركة مالية لحساب الرجل يخرج فيها الرجل وهو يملك كل شيء وتخرج منها المرأة وهي لا تملك شيء سوى جواز المرور الذي حصلت عليه من الرجل نفسه .

نعم جواز المرور في الشارع والدخول الى المنتديات متكشفة متهتكة .

بقي علينا الحديث عن مسألة قد تثار بشأن ملكية المرأة وحقها من التملك في الاسلام وهي مسألة الارث اذ ان الاسلام جعل للرجل فيه مثل حظ الانثيين وقد تفسر هذه التفرقة لحساب الرجل وتجعل عن تقومين مختلفين للرجل والمرأة في الاسلام .

ولكن الواقع ان هذا الفرق مرتبط بوضع الالتزامات التي وضعها الشارع بين الرجل والمرأة فالرجل المسلم هو المسؤول الشرعي والعرفي لأعمال الزوجة والبيت وهو المكلف بتهيئة مؤونة العيش ومستلزمات الحياة لمن يعول ولهذا فان من حقه الطبيعي أن يختلف عن المرأة في الارث ويكون له من الارث مثل حظ الانثيين على العكس تماماً من المرأة المسلمة فهي غير مسؤولة

شرعاً ولا عرفاً عن أي نفقة أو صرف كما قدمنا في هذا الفصل ولذلك فليس في هذا أي هظم لحقوق المرأة ولا أي مكسب للرجل دونها من الميراث فهي في الحيقة تشاركه في الزيادة التي يأخذها باعتبار المسؤولية التي تقع على الرجل تجاهها .

المـرأة البنت

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « نعم الولد البنات ملطفات مجهزات مؤنسات » هذا هو التقريض النبوي المقدس للبنت وهـذه هي فكرة الاسلام عن الوليـدة وعن أهميتها في الوجود .

وقد يعتبر هذا الحديث طبيعياً في مثل هذا العصر وبعد اذ ركز الاسلام للمرأة كيانها الخاص وبعد اذ عمت فكرة الاسلام عن كون البنت والولد في ميزان واحد ولكن هذا الحديث جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في عصر كانت العوائد الجاهلية فيه مستحكمة وكانت البنت فيه موؤدة تفادياً من عار بقائها في الحياة وكان من أسباب عار الرجل أن يكون أبا بنات حتى ان أعداء رسول الله (ص) كانوا يجعلون من أبوة رسول الله للبنات سبيلاً الى الاستهزاء والسخرية وقد جاء في الروايات ان

رسول الله (ص) بشر بأبنته فنظر الى وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم فقال : مالكم ريحانة أشمها ورزقها على الله عز وجل .

وهكذا نرى ان الاسلام ارتفع من البنت الموؤدة الى ريحانة والى خير الولد وقد روي عن رسول الله الأعظم انه قال ان الله تبارك وتعالى ، على الاناث أرقّ منه على الذكور وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها قرابة إلا فرحه الله يوم القيامة .

وهكذا وعلى هذا النحو غرس الاسلام في صدور المسلمين حب البنات وافهمهم انها فلذة لهم مثلها في ذلك مثل الولد سواء بسواء وجاء في الروايات انه ولد لرجل من أصحاب الامام ابي عبدالله (ع) جارية فدخل على أبي عبدالله فرآه مسخطاً فقال له أرأيت لو اوحى الله اليك ان اختار لك أو تختار أنت لنفسك ما كنت تقول ؟ قال كنت أقول يا رب تختار لي قال فأن الله عز وجل قد اختار لك ثم قال ان الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى وهو قول الله عز وجل « فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة واقرب رحماً » أبدلهما الله عز وجل بجارية ولدت سبعين نبياً .

وقد روي عن أبي عبدالله (ع) أيضاً ان رجلاً تزوج بالمدينة فلما جاءه سأله أبو عبدالله كيف رأيت فقال ما رأى رجل من

خير من امرأة إلا وقد رأيته فيها ولكن خاتتني فقال ما هو قال ولدت جارية فقال أبو عبدالله لعلك كرهتها ان الله عز وجل يقول « آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب نفعاً لكم » وهذه الرواية تدلنا على المهمة العسيرة التي واجهت الاسلام في مطلعه الأول عندما ركز للبنت مقاماً معترفاً به شرعياً ورسمياً وعاطفيا فبعد مضي حوالي القرن نرى ان هذا الرجل يعتبر ان زوجته قد خاتته لأنها ولدت له جارية وهذا هو السبب في كثرة الروايات التي وردت النبي يحبب فيهـا البنت ويقربها الى القلوب ويجعلها ريحانة ونعم الولد .

البنت حينما تصبح زوجة

الزوجية في الاسلام هي رباط مقدس يقوم على أساس الوفاء والحب والاخلاص وقد اهتم الاسلام في هذه الناحية من حياة المرأة المسلمة وأعطى الزوجة الصالحة مفهوماً طاهراً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض ولا هضم فيه لحق أي من الطرفين « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم [1] » .

ومن هذا نعرف ان الاسلام جعل من العلاقة الزوجية علاقة

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

متكافئة ، للزوجة فيها ما للزوج وعليها ما عليه واما الدرجة التي أعطيت للرجل على المرأة فذلك مرده لتكوين المرأة وتكوين الرجل .

فالمرأة ونظراً لطبيعتها التي خلقت لها تكون أضعف من الرجل وأرق وهي تتعرض في أدوار معينة من حياتها الى اعراض طبيعية لها التأثير البالغ على قواها الجسمانية والفكرية خلافاً للرجل الذي هو في منأى عن أمثال هذه الأعراض وآثارها النفسانية والجسمانية وقد أكد الطب القديم والحديث على هذه الناحية وعلى ان المرأة وفي معدل ٧٤٪ تتعرض في أدوار معينة ونتيجة لتركيبها العضوي وكيانها الانثوي الى أعراض من نتائجها تقليل قوة امساك الحرارة في الجسم واعاقة النبض عن السرعة وهبوط في ضغط الدم وتقليل عدد خلاياه وتؤثر هذه الأعراض أيضاً على الغدد الصماء واللوزتين وعلى الغدد اللمفاوية وتقلل اخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم ويختل فيها الهضم ويقل فيها التحام الشحم والأجزاء الهيولينية في المأكولات مع أجزاء الجسم وفيها يبلد الحس وتتكاسل الأعضاء وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار الى آخر هذه الأعراض التي تكون المرأة في معرض لتلقيها بين حين وحين .

ووجود أمثال هذه الأعراض أو بعضها من حقه أن يؤثر على المرأة وعلى وجودها الاجتماعي وهذا ضرورة من ضرورات المرأة ونتيجة من نتائج تقسيم الوظائف بين البشر ولذلك فهي تحتاج دائماً وأبداً الى من يشدها في جميع الأحوال والى من يسندها في كل وقت وهي ستجد في الرجل وجودها الثاني الذي لا يطرأ عليه أي تغير أو تبديل .

ولذلك جعل الاسلام للرجل درجة على المرأة وليس في هذا أي اجحاف لحق المرأة أو أي ظلم لها بل هو نتيجة طبيعية لما قدمناه وكذلك في أوقات الحمل الذي يعد أقدس مهمة تنجزها المرأة في الحياة تصاب أكثر النساء بأعراض كثيرة تكون من مستلزمات الحمل وتوابعه وتستهلك هذه الأعراض من المرأة جهداً بدنياً شاملاً وقد صرح كثير من الأخصائيين ان الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيه أن تكلف المرأة جهداً بدنياً أو فكرياً وعند ذلك أيضاً يأتي دور الرجل الزوج لكي يسيِّر معها دفة الحياة والمرأة بطبيعتها الناعمة تحتاج الى ركن قوي تستشعر في ظله الأمن والرضاء .

ولو لم يكن للرجل على المرأة درجة لأصبح الرجل بالنسبة للمرأة كواحدة غيرها من النساء وعند ذلك تفقد هذا الشعور

الذي تحتاجه كل اثنى وهو شعورها بأنها في حِمى مكين وبأنها مسنودة الى جبهة قوية .

فالمرأة كما عرفنا لا يسكن لها بأي حال من الأحوال أن تتجرد عن أنوثتها التي هي ضرورة من ضرورات وجودها الانساني والانوثة تعني الرقة والنعومة والرقة والنعومة لابد لها ممن يعوضها عن ضعفها بقوته وعن رقتها بصلابته .

وإلا فانّ الاسلام هو أول نصير للزوجة بجميع أحكامه ومفاهيمه وقد جاء في الروايات عن رسول الله انه قال خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وجاء في الروايات إن النساء في عهد النبي كُن قد وجدن فيه لأنفسهن نصيراً مشفقاً وملجأ حتى أنهن كُن يشكين اليه أدنى اعتداء يصلهن من أزواجهن وكان أزواجهن يحذرون أن يبدر منهم اليهن ما يشكينه الى النبي .

وجاء في الروايات عن الرسول انه قال خير متاع الدنيا المرأة الصالحة وجاء عنه أيضاً ليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة .

وعلى هذا النحو خلق الاسلام من الزوجية خلقاً جديداً وأسبغ عليها مفاهيم سامية لا لبس فيها ولا غموض والزوجة في الشريعة الاسلامية لها من الحقوق الزوجية ما عليها وبهذا جعل

الاسلام من الزوجية رباطاً محكماً ثابت القواعد له شروطه وأحكامه وليس متعة لهوٍ عابرة .

فالزوجة إذن ليست آلة مستخدمة للرجل وليست وسيلة لانجاز مهامه وقضاء حوائجه وليس للرجل عليها أي حق في هذا الباب كما قد أجمعت عليه الروايات والأخبار وأجمع عليه أيضاً جميع الفقهاء وقد ترك الاسلام التعاون القائم بين الزوجين الى رغبة الزوجين في هذا التعاون واستعدادهم لذلك ولا ريب ان الحب المتبادل والمودة التي جعلها الله بينهما قد دفعهما الى التعاون وتحبب اليهما ذلك التعاون فهو تعاون متكافىء قائم على أساس الحب والرحمة والاخلاص وعلى هذا فان المرأة لا تشعر بأي غضاضة في ذلك فهي مخيرة لا مسيَّرة ومندفعة لا مدفوعة وبما أن بيت الزوجية هو مملكة الزوجة الخاصة وعشُّها السعيد فلا ريب إذن من أن تكون المرأة أكثر اندفاعاً لتعمير هذا العش وتشييده من الرجل الذي يكون نطاقه أوسع من البيت وأعم . فالمرأة عندما تشعر أنها هي القائدة الواقعية للبيت وللمجتمع الصغير الذي فيه تحس براحةٍ نفسية اذا أحسنت قيادته وحدها وأثبتت كفائتها لتلك القيادة التي هي في الواقع بداية لقيادة المجتمع الواسع .

الزوجة حينما تصبح امـا

الامومة رسالة" مقدسة كلفت المرأة بأيدائها نظراً لكون دور الامومة هو أدق أدوار الوظائف في الحياة • والمرأة ولكونها عاطفية بالطبع والفطرة يكون لها من عاطفتها الفياضة داعياً يشدها الى تحمل مهام هذا الدور ومشاكله • والأم وفي كل عصر من العصور كانت لها ألاهمية القصوى في ذلك العصر وكانت الامم المتقدمة تولي الأم اهتماماً خاصاً وتتخيرها وتنتقيها من بين مئات من النساء • فقد كان يتفق للرجل قبل الاسلام أن يقتني العديد من الجواري والزوجات ولكنه يحدد نسله في واحدة يكون على ثقة من عراقة أصلها وأصالة فرعها ولكن ذلك كله كان لحساب الولد لا لحساب الأم بما هي أم ولكن الاسلام فتح أمام الأم آفاقاً جديدة اخرى تخص شخصها وكيانها الخاص • فمكانة الأم قبل الاسلام مكانة آلة الانتاج التي يحرص على أن تكون سليمة مستحكمة لكي تنتج الانتاج السليم ومكانة الام بعـد الاسلام مكانة الواهبة للحياة بما يستلزم ذلك من حقوق والتزامات ولذلك فقد خولها الاسلام إمكانيات واسعة وجعلها تحس بأنها تلد الولد لنفسها وللمجتمع وليس للمجتمع فحسب وجعل الولد

يشعر بأنه مدين بحياته ونشأته للأم وبذلك إرتفع بها من دائرتها الضيقة في الأمومة الى أفقٍ عال من الرفعة والمكانة وأصدق دليل على ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : الجنة تحت أقدام الامهات .

فهل هناك غاية في السمو أعلى من أن تكون الأم طريقاً للجنة ومن أن يكون رضاؤها باباً يلج منه المؤمن الى جنات النعيم.

نعم الجنة التي وعِد المتقون فيها والتي هي غاية كل مسلم وحصيلة عمر ينقضي بالخير والصلاح تكون تحت أقدام الامهات وتكون الأم هي الطريق المؤدي اليها برضاها عن الولد وبارضائه لها فالاسلام يعلم أن الأم وبما تكابده لأجل وليدها من آلام ومحنٍ وأسقام جديرة على أن تكون وسيلة لولدها في دخول الجنة وان يكون ارضاؤها شرطاً أساسياً من شروط الايمان الكامل والاسلام الحقيقي سواء أكانت الأم أرفع من الولد أصلاً أو دونه في الأصل والنسب فهي أم" وكفى .

هذه هي حكمة الاسلام ورحمته تجاه الأم فالاسلام لا يقر لولد مهما كان شريف الحسب والنسب ان يتطاول على امه وان كانت جارية فحق الأمومة في شريعة الاسلام حقاً مقدساً لا يتغير ولا يتبدل مهما اختلفت الظروف والأحوال والواقع إن العقل

والمنطق يؤيد هذا ويؤكده فان الولد لا يمكن له أن ينال الحياة إلا بعد أن تغذيه الأم من دمها وبعد اذ تحمله معها في أحشائها وتحميه في كل جارحة من جوارحها ولا يمكن له أن يعيش أيضاً إلا اذا كفلته امه في رعايتها وغذته من لبنها واحلته في أحضانها .

وعلى هذا فان الولد في الواقع قطعة من الأم قد انفصلت عنها وتكونت الى جنين فهل يمكن لبعض الشيء أن يعلو على بعضه وهل يمكن للثمرة أن تسمو على الشجرة وهل يمكن للوردة أن تباهي الغصن ولولا الغصن لما كان هناك زهرة على وجه الأرض والاسلام لاحظ هذا ولاحظ المشاكل التي تحدث من جراء هذا الشعور الذي كان الاولاد يشعرون به قبل الاسلام تجاه الام التي هي دونهم في الأصل والنسب فأراد أن يخول الأم وأي أمٍ مكانها الذي يمكنها من حفض كيانها في كل المجالات والظروف وتلزم أولادها الطاعة لها مهما اختلفت عنهم في الأصل والنسب وقد كان رسول الله يكرر في أكثر من مناسبة قوله : (وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) مع ان ام الرسول كانت من أعرق أسر قريش وأطهرها نسباً وحسباً وقد جاء في الروايات أيضاً ان رجلاً سأل رسول الله عن حق الوالدين فأجابه الرسول قائلاً امك ثم امك ، ثم امك ثم أباك .

فالأم بطبيعتها الانثوية ورقتها الطبيعية تهب لوليدها من حنانها وعطفها أكثر مما يعطى الأب بل أكثر مما يتمكن أن يعطيه الأب نظراً لتكوينه الخاص الذي لا يمكنه من الاندفاع وراء عواطفه في الوقت الذي تكون فيه الأم سريعة الاندفاع وراء عواطفها قليلة التمكن من التحكم في مشاعرها فعلى هذا فانّ الولد يستهلك من عطف الأم وحنانها أكثر مما يستهلك من عطف الأب وحنانه وان كان الحب الواقعي عند الوالدين في حد سواء .

وهذا هو السبب في تأكيد رسول الله على حق الأم ثلاث مرات ونحن لا ننكر ان للولد حقاً عند امه وان على الأم أيضاً أن تحسن تربية الولد وتغذي روحياته وتحميه من مهاوي الانزلاق بالمقدار الذي تمكنها منه قابلياتها ومعارفها وعلى الأم أن تشعر بخطر مسؤوليتها وهي تضطلع بدور الأمومة وعليها أيضاً أن تعرف انها مسؤولة عن النشأ الذي تنشؤه امام الله وامام المجتمع ولذلك فأن من ضرورات الأمومة الصالحة ان لا تكون الأم جاهلة لكي تتمكن من معرفة الطرق السليمة في التربية وانا لا أريد أن أقول ان على كل أم أن تأخذ دبلوماً من معاهد التربية مثلاً .

ولا أقصد مثل هذا من قريب أو بعيد ولكني أعني أن الأم يجب أن تكون بصيرةً بأمور دينها ومجتمعها ، تتمكن من تفهم

المشاكل الاجتماعية بسهولة وتتمكن من معرفة الأخطار التي تترتب من جراء تلك المشاكل بسرعة لكي تجنب وليدها عن تلك المشاكل .

وعلى العموم فالأم يجب أن تكون واعية وعياً اسلامياً كاملاً لكي تتمكن من أن تنشأ وليدها على اسس الاسلام ومفاهيمه الواقعيـــة .

فهرست الكتاب

١ ــ كلمة الناشر	أ
٢ ــ نساء في حياة النبي	١
٣ ــ قيمة المرأة في الاسلام	٦٠
٤ ــ المرأة والعمل	٦٥
٥ ــ المرأة والحجاب	٧٠
٦ ــ المرأة والملكية	٧٣
٧ ــ المرأة البنت	٨٠
٨ ــ البنت حينما تصبح زوجة	٨٢
٩ ــ الزوجة حينما تصبح أمّاً	٨٧

الكتاب القادم

المدخل لدراسة التشريع الاسلامي

* فالزواج في نظر الرسول الأعظم امتزاج روحي ، ووحدة هدف ، وغاية وتعانق قلبين طاهرين قبل أن يكون صلة جسدية .. .. ص ١٧

* المرأة هي المدرسة الأولى في الحياة وهي أحد العنصرين الأساسيين في تكوين المجموعة البشرية ... انها مدرسة تنشأ ومربية أجيال وحينما نأتي لنتحدث عن دورها في المجتمع نلاحظ انها في الواقع نقطة لانطلاق المجموعة البشرية ولولاها لما كان هناك بشر على وجـه الأرض .. .. ص ٦٠

المؤلفة

توزيع

الثمن ١٠٠ فلساً

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 080195017